العدد 25، ديسمبر 2020، السنة الرابعة

مَرَاوِد

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

ملف الشهر

المنطقة التراثية بخورفكان تختزن عبق الماضي

«الشارقة للتراث» يشارك بـ 300 عنوان في معرض الشارقة الدولي للكتاب

الاحتفاء بيوم التراث السمعي والبصري

3 أيام مشهودة في تاريخ الإمارات

MARAWED Issue, 25 (DEC 2020), The Fourth Year

العدد 25، ديسمبر 2020، السنة الرابعة

Issue, 25 (DEC 2020) The Fourth Year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

m.bounama@sih.gov.ae

مراود

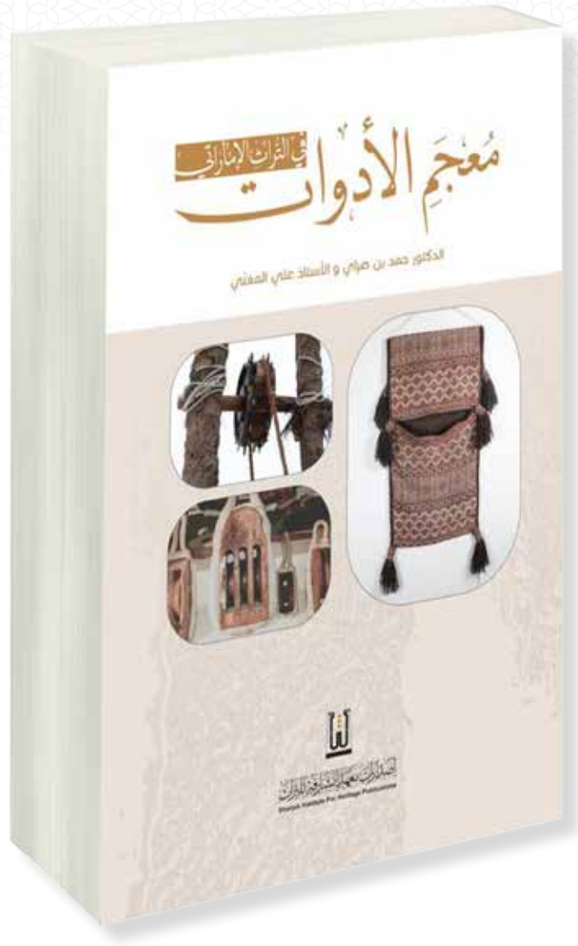

صدور معجم الأدوات في التراث الإماراتي

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

خورفكان درّة الشرق

إذا كان الحُسن يتجسّد في أرضٍ، فهو يتجسّد في مدينة خورفكان، التي تطلّ على خليج عمان وبحر العرب، تلك المدينة الحالمة الوادعة، التي تتدفّق منها الطاقة الإيجابية متى ما كنتَ فيها، والتي تتميّز بميناء طبيعي عميق، هو حدّ من حدود تلك المدينة، وسلسلة من الجبال التي تشكّل قوساً يحتضن المدينة من الاتجاهات الثلاث الأخرى.

تتمتع خورفكان بخصال أربع: اعتدال الطقس، ووفرة المياه، وخصوبة الأرض، وغنى البحر، وفي المدينة آبار مياه قديمة، ووديان حيوية نشطة، أهمها وادي شي، ولفترة تاريخية قريبة – فترة السبعينيات – كان كثير من منتجات الأرض، من حبوب وخضراوات وفواكه، من التي تعمّ الإمارات، كانت تجلب منها، علاوة على خيرات البحر، فالأسماك بأنواعها الوفيرة كان مصدرها خورفكان.

خورفكان هي مدينة ساحلية على شواطئ خلي ج عمان وبحر العرب، وهي تتبع إمارة الشارقة في الإمارات العربية المتحدة، وتعدّ تاسع مدن الإمارات، ومن أجمل المدن الساحلية على الإطلاق فيها؛ إذ تمتاز بساحلها الرملي الخلّاب، وبمنظر الجبال المحيطة بالمدينة، ما يجعل المدينة ذات ميزات طبيعية متفرّدة، كما تميزت أيضاً بأهلها الذين مزجوا خبراتهم التقليدية بين الزراعة ومهن البحر، فهم مزارعون ماهرون، وخبراء في صيد الأسماك وركوب البحر كبحّارة وربابنة، كما عملوا أيضاً في صناعة السفن بأنواعها وأحجامها وأشكالها ا لمختلفة .

خورفكان كانت الذراع الشرقية لقوة القواسم التاريخية منذ مئات السنين، كما كانت عاصمة صيفية لكثير من حكام إمارة الشارقة، وهي المستودع الاستراتيجي للغذاء والماء، والمنفذ الآمن والسريع لارتياد البحر، والوصول إلى موانئ الهند والسند والصين وجنوب شرق آسيا وشرق إفريقية.

ورد اسم المدينة في خرائط كثير من الجغرافيين، كما ذكرت عند البلدانيين والرحّالة العرب والأجانب، منهم ياقوت الحموي وابن بطوطة وبلغريف، وقد وصفوا جمالها، كما وصفوها بأنها منطقة مأهولة بالسكان، وفيها نخيل ووديان وعيون عذبة، كما وصفوا الحالة الاجتماعية فيها.

اهتم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، اهتماماً خاصاً بمدينة خورفكان؛ لاعتبارات تاريخية واجتماعية واستراتيجية، ففي البداية طوّر البنية التحتية للمدينة، ومن ضمن ذلك التطوير تطوير الميناء التقليدي، وجعله ميناء عالمياً متطوراً للحاويات، كما أسّس لها بنية تحتية ثقافية، تمثلت في مكتبة عامة ومسرح ومراكز للأطفال والناشئة وللفتيات، كما وجّه بافتتاح فروع رئيسة لكل الدوائر الحكومية والمؤسسات في المدينة، بما يجعلها مدينة رئيسة وحيوية، كما وجّه سموه بصون المنطقة التراثية وترميمها، والتي تحوي سوقاً وبيوتاً ومساجد تاريخية مهمة.

تاريخياً، لمدينة خورفكان نصيب من مقاومة الاستعمار الأوروبي الذي اجتاح بلداناً عربية وأجنبية كثيرة، ومن أشد أنواعه الاستعمار البرتغالي، فقد عانى أهل خورفكان قسوة البرتغاليين وعنفهم، كما أسهموا بشكل إيجابي فعّال بدحر ذلك الاستعمار الغاشم.

خورفكان درة الشرق بلا منازع، لذلك أفردنا لها هذا العدد احتفاء بها.

كما تضمن العدد الكثير من أخبار البرامج والأنشطة والفعاليات التي نظّمها المعهد، أو شارك فيها خلال الفترة الماضية، بالإضافة إلى مقالات متنوّعة لامست مختلف قضايا التراث الثقافي في الإمارات والوطن العربي والعالم.

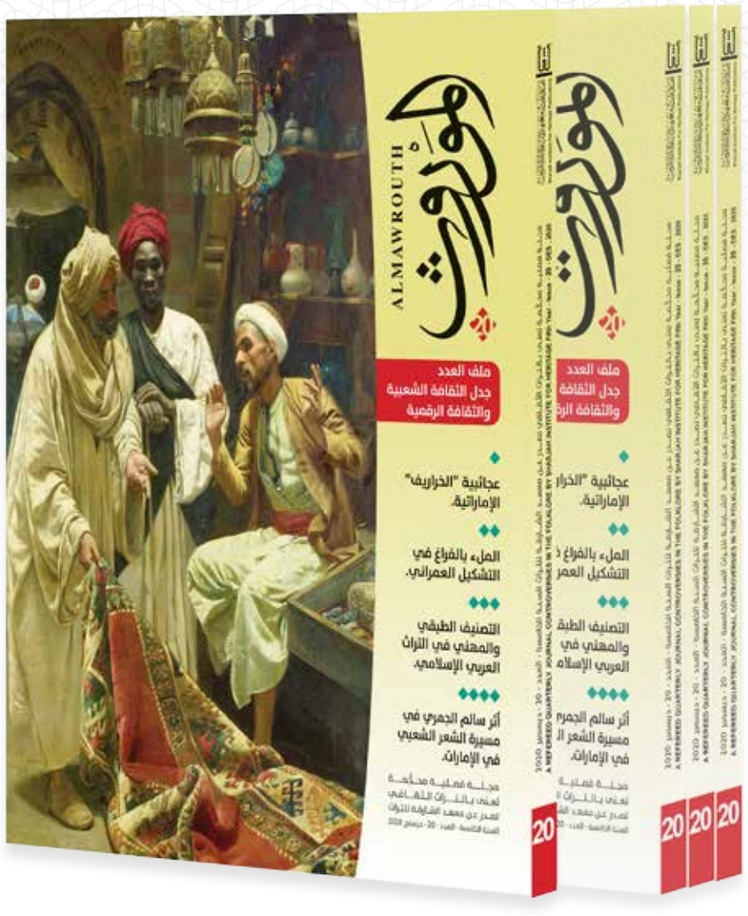

صدور العدد الجديد من مجلة

المَوْروث

محتويات العدد

الافتتاحية
5

ملف العـدد
المنطقة التراثية في خورفكان تختزن عبق الماضي
12

أخبار ومتابعات
82

التدوين والتوثيق.. منعطف في طريق التراث
104

الخرافة في الفلكور الكويتي
56

أشياء من الماضي
علي العبدان
62

دراسة
محمد عبدالله نور الدين
76

المطر
الحاضر القوي في الأدب الشعبي الإماراتي
96

فنون شعبية
علي العشر
68

حكاية
علي أحمد المغني
70

أوليات البحث في التراث الفكري للعرب والمسلمين
100

حكمة أيسوب وفكاهة جحا
108

مدن ومعالم صومالية
في أراجيز ابن ماجد

114

لنبدأ في تحويل قاعات الدرس
إلى معامل ومختبرات

122

الأغنية في الموروث الشعبي
مصدر وحي ومنبع إلهام

126

دبس التمر
ذخيرة أهل الخليج

132

ماشَا والدُّب

134

التراث الصيني
الأثاث الصيني التقليدي

136

مهرجان الصيف الياباني

140

شرفة

146

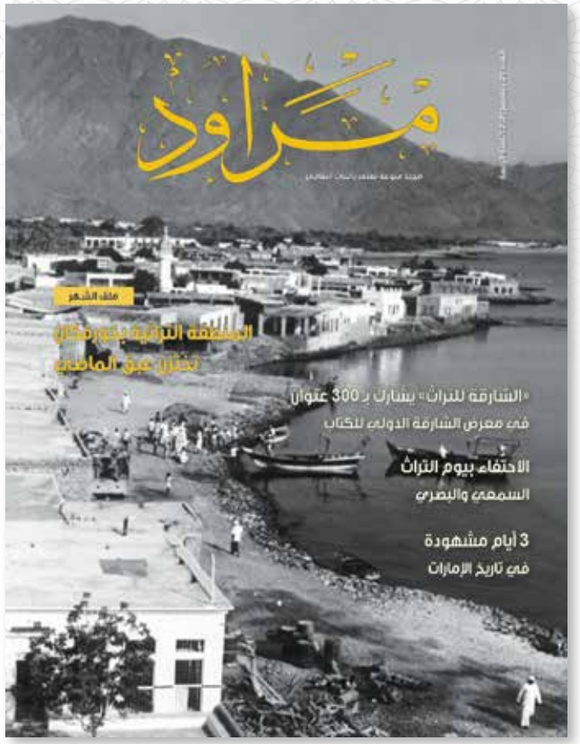

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

أسرة التحرير
أ. عـلي العبـدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

ملف العـدد

المنطقة التراثية في خورفكان تختزن عبق الماضي

ملف العـدد

المنطقة التراثية في خورفكان..

جسدٌ نابض بالحياة وزاخر بالتراث

تعدّ إمارة الشارقة من أوائل إمارات الدولة التي عكفت على ترميم المعالم التاريخية والمباني التراثية تنفيذاً للتوجيهات السامية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة حفظه الله، الرامية إلى المحافظة على المباني التاريخية والمواقع التراثية وإحيائها من خلال أعمال الحماية والترميم التي طالت معالم الإمارة وبيوتها التراثية وأسواقها

الشعبية ومساجدها ومدارسها، وإعادة توظيف وإحياء مناطق الشارقة القديمة.

كانت البداية بحماية وترميم الشارقة القديمة وامتدت عمليات الترميم والصيانة لتشمل حصن الذيد، حصن فلي، منطقة خورفكان التراثية، خور كلباء وغيرها، بالإضافة إلى المساجد والمدارس

التي كانت - وما تزال - في عمومها تحتفظ في أزقتها وبين جنباتها برائحة التراث الأصيل، كما تمثّل وجدان السكان الذين عاشوا في المنطقة التي احتضنت طفولتهم ونشأتهم الأولى، لَما في ذلك من حفظ لذاكرة المكان التاريخي والتراثي في الإمارة، واستدعاء للماضي الجميل، واحتفاء بالدور التاريخي الذي لعبه هذا المبنى أو ذاك في فترات تاريخية مختلفة وأماكن متعددة، وبهدف تعزيز الارتباط بالمكان الإماراتي، بمعالمه وصروحه ورموزه الأصيلة.

المنطقة التراثية في خورفكان

الحفاظ والإحياء وإعادة التأهيل

اتساقاً مع ذلك يأتي إحياء المنطقة التراثية بخورفكان لما له من إسهام في تحقيق المحافظة على المباني التراثية الموجودة بالمنطقة، وإحيائها والترويج لها، وتحويلها إلى مزار سياحي، ووجهة ثقافية تستقطب السيّاح والزوّار من شتى الأماكن والثقافات، لتأخذهم في جولة ماتعة في رحاب التاريخ العريق والتراث العميق الذي يفوح من جنبات المنطقة، ومن بيوتها وجدرانها التي لاتزال شاخصة وشاهدة على ماضيها الجميل.

وتكمن أهمية الحفاظ والإحياء في تقديم الصون العاجل للمنطقة التراثية بخورفكان، في تقديم الصون العاجل انتشالها مما كانت تعانيه وبعد صيانتها وإعادة تأهليها وتجهيزها للافتتاح، وتهيئتها لاستقبال الزوّار، ستشكّل المنطقة رافداً مهماً، يجمع بين الفائدة والتسلية، والثقافة والتراث والسياحة والترفيه للسكان والسيّاح على حد سواء؛ لما تضمه بين جنباتها من تنوّع مرافقه، وهي: المتاحف الشخصية: (بدر صالح،

محمد صالح النقبي، فاطمة المغني، عبدالله الكابوري، راشد خلفان عبدالله النقبي، خلفان محمد علي النقبي)، بيوت الحرف، وتضم حرف التلي، صباغة الملابس، السفافة، الزفانة، الدعون، صناعة البراقع..)، مجلس التراث (الدامة)، بيت الألعاب الشعبية، بيت أدب الرحلات، رواق المكتبة، بيوت الشباب، مشروع الرياحين، مركز الشعر الشعبي، بيت الشعر، بالإضافة إلى القناة المائية، ومتحف الحرف التقليدية في سوق شرق القديم وما يضمه من حرف تراثية غنية تقدّم صورة عن الماضي العريق. كما ستقدّم للزوّار صورة مشرقة وأخّاذة عن تراث المنطقة، ضمن لوحة تراثية متكاملة، تستعرض مختلف جوانب التراث

الثقافي، من معالم تاريخية ومتاحف شخصية وحرف تقليدية وفنون شعبية، وصناعات تراثية تعكس الموقع الجغرافي الساحلي للمدينة، وما يزخر به من تراث بحري غني، يتجلى في أنواع من الصناعات والحرف والمهن التراثية المهمة، مثل صناعة الشوش وغيرها.

منشورات توثيقية

في سياق التحضير لافتتاح المنطقة وإحيائها في نطاق التوجيهات السامية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم إمارة الشارقة قام معهد الشارقة للتراث بوضع خطة متكاملة لإحياء المنطقة شملت إعداد منشورات توثيقية عن خورفكان، تاريخها وجغرافيتها وأهمية

موقعها الاستراتيجية وكيف شكّلت، عبر التاريخ، حلقة وصل مهمة في مجال التجارة البحرية، ورصد الكتابات العربية والأجنبية التي تحدثت عن المنطقة منذ القدم ورسمت ملامحها وتتبع كتابات الرحالة والمستكشفين، لمقارنة تلك المعلومات بما آلت إليه المدينة حالياً، وذلك بهدف تقديم معلومات موثقة عن تاريخ المدينة ورصد تحولاتها والتي طالت كافة مناحي الحياة فيها، بالإضافة إلى نشر كتاب شامل، يقدّم صورة جميلة عن خورفكان في الذاكرة، ونشرة تراثية مصاحبة للافتتاح، بالإضافة إلى كتيبات تحتوي على معلومات تعريفية بمحتويات المنطقة التراثية وأجنحتها ومختلف مرافقها، وأبرز أعلامها وأقطاب التراث ورموزه فيها.

البرنامج الثقافي

كان البرنامج الثقافي والتراثي الدائم شاملاً ومتكاملاً، يقدّم عرضاً ممتعاً ومتنوعاً، وموزعاً على ساحة المنطقة التراثية ومرافقها، يروي تاريخ عروس الساحل الشرقي، ويسرد ماضيها، ويعرض تراثها، ويحاور حاضرها، ويشمل مواسم الصيد البحري ونوع السمك والطريقة المستخدمة في صيده، وموسم الزراعة وأنواع الفواكه والخضراوات التي تشتهر بها المنطقة، وفعاليات وبرامج وأنشطة تخص أهالي المنطقة وبمشاركتهم، كسباقات الشوش والتجديف، وبعض المعارف الشعبية في خورفكان التي تخص الصيد في مواسم الأعياد، ومشاركة طلبة المدارس في الفعاليات والأنشطة، والتعرف إلى أهم المواقع الثقافية والسياحية والمعالم التاريخية والمباني التراثية في خورفكان

لتعريف الجمهور على ما تزخر به المدينة من مواقع تعتبر مراكز حيوية للجذب الثقافي والسياحي. كما سيشكّل الوادي الذي يحيل الزائر إلى الطبيعة الزراعية للمنطقة، محطة مهمة في رحلة المتعة والفائدة. وسيتضمن البرنامج الثقافي كذلك إقامة الورش الفنية، والبرامج الثقافية التي تسهم في إثراء المشهد الثقافي في المنطقة.

إن البرنامج الثقافي والتراثي الشامل الذي احتطنته

المنطقة ساهم إسهاماً كبيراً في تعزيز مكانة المدينة سياحياً وثقافياً وتراثياً، بتحويلها إلى واجهة للجذب الثقافي والسياحي، فضلاً عن اضطلاعه بنشر ثقافة الوعي الثقافي بأهمية المعالم التاريخية والمباني التراثية وكافة العناصر التراثية التي تعتبر مرآة عاكسة للماضي، والمعبّر بحق عن صميم الهوية الثقافية والانتماء الوطني تماشياً مع الرؤية الثاقبة لصاحب السمو حاكم الشارقة الرامية إلى إحياء المناطق التراثية وإعادة تأهيلها وفتحها أمام الجمهور لبيان مستوى التواصل الثقافي والعمق الحضاري والتاريخي للإنسان الإماراتي الذي شيّد تلك المعالم والمباني منذ القدم، لذلك فإننا نعوّل في افتتاح قرية خورفكان التراثية على تحقيق الغايات المنشودة..

عروض متنوعة

شاهدت المنطقة التراثية عروضاً متنوعة للفنون الشعبية اتساقاً مع التوجيهات السامية لصاحب السمو حاكم الشارقة، الرامية إلى إدراج هذه الفنون في مختلف البرامج الثقافية وإحيائها وتقديمها باستمرار، وشملت الفنون المذكورة: فن الويلية وكيف يؤدى وأبرز مؤديه، وفن العيالة الوهابية والأدوات المستخدمة فيه، بالإضافة إلى ورش حية ومتحفية للحرف التقليدية والمهن التراثية من بينها الحرف المتعلقة بالنخلة كالسفافة والزفانة والخلابة وقلادة الحبال وصناعة الخصف وصناعة الحابول وغيرها، والحرف المتعلقة بالبحر كالقرقور والشاشة والمالح والقاشع والضغوة والطراقة وصيد الأسماك وغيرها، بالإضافة إلى الحرف اليدية كالمنز والميزان والمصيدة والسراي والطبل والألعاب الشعبية.

كما تم عرض المهن التقليدية كالرعي وطحن الحب والكحل والحناء والدخون والخياطة والتلي وقرض البراقع والحدادة وغيرها كثير.

وثّق على مدى عقود حركة التجارة ونمط حياة السكان

سوق شرق.. عناق التاريخ والتراث

يعتبر السوق القديم في خورفكان (سوق شرق) واحداً من أعرق المواقع التراثية التي لعبت دوراً محورياً في حياة السكان وأمّنت لهم احتياجاتهم المعيشية، وقد بدأ السوق بسيطاً، وكان عبارة عن محالٍ معدودة لبيع السلع والبضائع، والتي تم بناؤها من سعف النخيل، ثم تطور بناؤها إلى الطين وحجارة البحر، وأسقفت بسعف النخيل، وكانت بدايتها تتكون من 5 أو 6 محال في المنطقة الغربية من الوادي، ثم تطوّر لاحقاً بفعل نشاط الحركة التجارية في المنطقة، ووصل عدد المحال التجارية في النصف الثاني من القرن 20 إلى ما يقاب إلى 60 محلاً .كما كان من أبرز معالم السوق المقاهي الشعبية مثل قهوة القاضي وغيرها .

ورد ذكر سوق خورفكان القديم في كثير من المصادر والمراجع، ومعظم ما يميز هذه الفترة في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، أن غالبية من مارس مهنة التجارة في سوق خورفكان القديم، هم من أبناء المنطقة، وكان هؤلاء مختصون في بيع بعض السلع التي يحتاجها سكان مدينة خورفكان، وأهم السلع التي يتاجرون فيها: الأرز (حيث كانت أنواع بسيطة من الأرز تجلب من باكستان)، والسكر والملح والأخشاب والتمر بأنواعه المختلفة، والقهوة والتوابل والأقمشة النسائية والرجالية والطحين والنارجين والمكسرات، والأدوات التي كانت تدخل في صناعة السفن وصيانتها تلك الفترة.

لم يقتصر الأمر على هذه البضائع والسلع فحسب، والتي كانت تجلبها السفن الخشبية التي كانت ترسو في مرفأ خورفكان، وفي بندرها المشهور، بل كان هناك تواصل مع القرى والمناطق الجبلية القريبة من خورفكان، مثل شيص والنحوة، كانت تجلب المزروعات وخاصة الرطب التي كانت تعبأ فيما يعرف بالوخايف، ولها أهمية كبرى، إذ كانت تعد من التمور المميزة والنادرة تلك الفترة.

ولسوق خورفكان ارتباط ببعض القرى التابعة لسلطنة عمان، فقد كان يجلب بعض المنتجات الزراعية، وخاصة ثمرة المانجو التي كانت تتميز بها المناطق الساحلية في عمان تعرف محلياً (الخيلي)، وبالإضافة إلى سكان المناطق الجبلية الذين كانوا يتاجرون في بعض السلع البسيطة، كحطب السمر والصخام الذي كان يعالج وينتج عنه الفحم، ويستخدم للطهي والتدفئة.

ونتيجة لأهمية السوق، اهتمت به الحكومة اهتماماً

كبيراً، حيث كان يقفل في الليل، كما وضع له نظام الحراسة الليلي، وكان الحاكم يكلف بعض الأشخاص لحراسته، وذلك لأهمية هذا المرفق الحيوي المرتبط بأرزاق الناس، ولطمأنة أصحاب المحال على أموالهم، هذا النظام كان تقوم به مجموعة من الأشخاص، يعرفون بـ(النواطير)، وكانوا يسهرون على أمن وسلامة السوق وحمايته من عبث العابثين، ويوجدون في الفترتين الصباحية والمسائية، وكان هناك مقر في السوق لحراس السوق، وكانوا يتناوبون على الحراسة، ومن التقاليد المتبعة بين حراس السوق، وخاصة في فترة الليل، أنهم كانوا يطلقون بعض العبارات للتنبيه، كعبارة (صاحي صاحي)، كانت تردد من قبل حارس فيسمعه الحارس الآخر، ويرد عليه العبارة نفسها، ويستمرّون بعملهم، ضمن فترات يتناوبون فيها تسمى (الزام).

واختاروا لها موقعاً محاذياً لشاطئ البحر، بالإضافة إلى الجهة المقابلة لمبنى الحصن التاريخي، الذي ضم مجموعة كبيرة من المؤسسات الإدارية في تلك الفترة، وكل مترددين هذا السوق كانوا يمرون على هذا المقهى، لكونها محطة من المحطات المهمة، وكانت مأوى لكثير من التجار، سواء من منطقة الإمارات أو المنطقة الشرقية أو التجار الخليجيين الذين يأتون أو يمرون على مدينة خورفكان، وتجار السفن الذين يمرون بهذا السوق، فقد كانت تمثل لهم مأوى ونزلاً مقابل مبلغ بسيط.

المنطقة التراثية بخورفكان
معقل الثقافة والتراث والتاريخ العريق

مشروع المنطقة التراثية بخورفكان يعد أحد أهم المشروعات التي تسعى الشارقة من خلالها للمحافظة على المباني التراثية الموجودة في المنطقة، وإحيائها والترويج لها، وتحويلها إلى وجهة ثقافية تستقطب السيّاح والزوّار من شتى الأماكن والثقافات، لتأخذهم في جولة ممتعة في رحاب التاريخ العريق، والتراث العميق، وتضم:

قناة الوادي المائية

تتصل قناة الوادي ببحر شاطئ خورفكان، وجرى تعميقها لضمان استمرارية وجود المياه فيها طوال الوقت، بحسب حالات المد والجزر، وتستخدم القناة كمصب لمياه الوادي وقت الأمطار.

نزل الرياحين

تحتضن المنطقـة الجديدة نزل الرياحـين، الذي يمثل مجموعـة من البيـوت القديمـة في المنطقـة التراثية، والتي سـتتم إعادة ترميمها، مع المحافظة على معالمها الأثرية، والتقسـيمات الأصليـة للبيت. ويتضمن النزل بيوتـاً للإقامـة تعكس الطابـع التراثي القـديم، حيث يتكـون كل بيـت مـن تقسـيمات ومسـاحات متفاوتة، تلبـي رغبـات النـزلاء، وتتكـوّن البيـوت مـن غـرف للنـوم وغرفـة معيشـة والليـوان وجلسـات خارجية، كمـا يحتوي النـزل على حديقة خارجيـة، زرعت فيها أشـجار النخيل والحنـاء والريحان.

كمـا تم اسـتغلال أكبـر بيـت في المنطقـة؛ ليتضمـن منطقـة اسـتقبال النـزل، ومطعماً، وبعـض الخدمات الخاصـة بالنـزل، ومكاتـب الإدارة، بالإضافـة إلـى توفيـر مجموعـة مـن المحـال الشـعبية التـي تلائـم الطابـع التراثـي الخـاص بالنـزل.

بيت الشباب

يمثّـل بيت الشـباب أحـد البيـوت القديمـة بالمنطقة التراثيـة، ويعـود تاريخـه إلـى خمسـينيات القـرن العشـرين، وهو بيت سالم راشـد المطوع، وكان يقطنه مـع أبنائـه راشـد وخميـس، وكان البيت يضـم غرفاً سـكنية ومخزنـاً وغرفـة لاسـتقبال الضيـوف، مبنية مـن سـعف النخيل، وقد جرى توسـيع البيـت على يد الأبنـاء لاحقاً.

يقابـل بيـت المطـوع مـن الخلف بيـت أحمد سـيف، الـذي اشـتراه محمـد العمانـي، وهـو الآن (متحـف محمـد صالح).

يتألف بيت الشـباب مـن خمس غرف موزّعة حسـب الاسـتخدام، بالإضافة إلى حديقة وغرفة للاستقبال.

متحف الحرف

من أهم معالم مشـروع المنطقة الثقافة متحف السـوق القديم (متحف الحرف)، الذي يشـكل مساحة ثقافية وتراثيـة، تضـم العديـد من الأقسـام التـي خصصت لعرض الفنـون والحـرف اليدوية القديمة وشـرحها. وتم تخصيـص 25 محـلاً في السـكة الموازيـة لمحـور

السوق الرئيس، لعرض الحرف التقليدية المندثرة، وتعكس الحرف مختلف البيئات البحرية والجبلية، وكل حرف السكان قديماً، ومنها الطب الشعبي والحلاقة والخياطة واستخراج اللؤلؤ وتعليم القرآن، واستخراج الدبس والحرف البحرية وغيرها.

وسيوفر المتحف للزوار تجربة واقعية للحرف التقليدية، وسيضم العديد من الورش والفعاليات التي ستعيد إحياء هذه الحرف التراثية المهمة وتعليمها.

بيت الشعر ومركز الشعر الشعبي

كما تم افتتح بيت الشعر الذي يهدف إلى استقطاب الشعراء والمثقفين والأدباء وتنظيم الندوات والأمسيات والحوارات الشعرية.

كما سيقدم مركز الشعر الشعبي أنشطة ثقافية تعزز الجانب الثقافي والأدبي لمدينة خورفكان من خلال استضافتها للأمسيات الشعرية والندوات والورش التي سيكون لها الأثر في استقطاب محبي الشعر الشعبي وإعداد جيل من الشعراء.

ويعود تاريخ مبنى بيت الشعر ومركز الشعر الشعبي إلى حقبة الثلاثينات من القرن الماضي، وتم ترميم المباني باستخدام مواد تتماهى مع الطابع والهوية التراثية لمدينة خورفكان وفق أعلى معايير البناء القديمة.

ويسعى بيت الشعر ومركز الشعر الشعبي إلى توفير مناخ ثقافي للمبدعين في مجال الشعر لمواصلة مسيرتهم الإبداعية وتشجيع وإبراز الأجيال الجديدة لتقديم إبداعاتهم ورفد الساحة الشعرية بالإنتاجات الأدبية والارتقاء بالذائقة الشعرية، بالإضافة إلى حفظ وتوثيق الشعر الشعبي.

المتاحف الشخصية.. نافذة على الماضي وعبق للحاضر

سارة إبراهيم

سبعة متاحف شخصية تزخر بها المنطقة التراثية بخورفكان، تمزج آلاف المقتنيات التي تحتضنها، ما بين قطع تروي قصص الأجداد وتراثهم، وتاريخ منطقة خورفكان بشكل عام، وأخرى تسرد سيراً عطرة لأشخاص هم بحق من بناة التراث، وغيرها مما يعبّر عن ميول شخصية ثقافية في مجالات عدة، كالرياضة والمهن القديمة والأسفار.

لكل من المتاحف السبعة نكهته، رغم أن رابطها واحد، هو أنها لأبناء مدينة خورفكان، الذين احتفوا بتراثهم، واحتفظوا به في منازلهم فغدت متاحف منزلية، حملوا مسؤولية نقل تراثهم للأجيال المتعاقبة، فوجدوا الراعي والمثمّن لجهودهم.

يعدّ متحف فاطمة المغني واحداً من المتاحف التي تدل على اعتزازها بالإرث، فتقدم فيه مقتنيات شخصية احتفظت بها من بيت أسرتها، بينما استطاع بدر صالح أن يوثّق حكايته مع كرة القدم منذ سبعينيات القرن الماضي، ولا يختلف سعيد

متحف فاطمة المغني

متحف فاطمة المغني

علي النقبي عن المغني في شغفه بالاحتفاظ بتراث الأجداد، أما محمد صالح النقبي فخصّص متحفه لإحياء المهن القديمة، التي كانت مصدر عيش أهالي المنطقة، بإحياء أدواتها، ويعد متحف خلفان عبدالله النقبي واحداً من المتاحف الزاخرة بالتنوّع، فتضم تراث الدولة والخليج عموماً، ويستعرض متحف عبدالله راشد الكابوري ما يزيد على 100 قطعة تراثية، أهمها الأسلحة، ويعرّف متحف خلفان محمد النقبي بشكل خاص بالبيئتين الزراعية والبحرية.

يزخر متحف فاطمة المغني بأقسام أربعة، لكل منها خصوصيته، وهو يكاد يماثل البيت الشعبي قديماً، باحتفاظها بأهم المقتنيات القديمة لغرف النوم والمعيشة والمطبخ، ومقتنيات المرأة الخاصة، من إكسسوارات وأدوات ومواد تجميل، والمتحف، وهو بالأصل في موقع منزل عم جدّها خلفان عبيد المغني، يعرّف بالعائلة والعلاقات التي ربطتها بالمحيط، موثقاً ذلك بصور ووثائق، كما يتضمن سيرة حافلة لفاطمة المغني، وشهادات وتكريمات حازتها خلال مسيرتها الطويلة في مجالات إنسانية واجتماعية وتراثية عدة، ويضم المتحف أسلحة من بينها بندقية أهداها إياها جدها يوم وفاته، وخناجر تراثية مصنوعة من الذهب والفضة والعاج،

كما تحتفظ المغني بسرير عائلي كبير، يتسم بنقوش مميزة، وأوان فخمة مزخرفة بزخارف نباتية وأخرى من الألمنيوم والفخار والنحاس للاستخدام اليومي، والعديد من أدوات المطبخ، حيث خصصت ركناً للقهوة بمقتنياتها.

واختار المدرب الرياضي بدر صالح أن يوثق تاريخ الدولة الكروي، من خلال متحف شخصي أولاً، ومن ثم في المنطقة التراثية، فضمنّه مسيرة حبه كرة القدم منذ البدايات، حين بدأ مسيرته لاعباً، ومن ثم مدرباً، ويعدّ متحفه فكرة غير مسبوقة على مستوى مدن وأندية الساحل الشرقي تحديداً، ويتسم المعرض بصور قيّمة ونادرة، استطاع صالح أن يحتفظ ببعضها ويجمع غيرها، بينما لمعت بين أركانه الكؤوس والميداليات التي توج بها لاعباً ومدرباً، إلى جانب الشهادات التي حصل عليها من «فيفا» ومن الاتحادين الآسيوي والإماراتي لكرة القدم، إلى جانب الهدايا التي قدمت له من عدد من الأندية والاتحادات العربية والآسيوية.

وأدرك سعيد علي النقبي منذ صغره قيمة القطع التراثية، فقام بجمعها والمحافظة عليها، وأنشأ أول متحف له من العريش في منزله في 1995م، لتعريف أبناء الجيل الجديد بتراث الآباء والأجداد، ومع دعم الأسرة والأهل والمعارف، طوّر متحفه إلى بناء، مع زيادة عدد القطع، والرغبة الشديدة في المحافظة عليها بظروف بيئية أفضل، ومن أقدم مقتنياته التي يعرضها في متحف المنطقة التراثية جواز سفر 1955م، عبارة عن وثيقة ورقية، ثم جواز سفر تقليدي يعود لعام 1968، ونسخ من آيات قرآنية من المصحف الكريم تعود إلى القرنين السابع، والسابع عشر الهجري، وأبواب تراثية تعود لمنزل العائلة، وصور متعددة مثل صورة شجرة الرولة المعروفة بتجمع الناس حولها في الأعياد والمناسبات، والأسلحة البيضاء والدلال وميزان السلع، وقالب سكر «قند»، الذي كان يصنع منه شربت الليمون أو اللومي، وقدور نحاسية عمرها لا يقل عن 80 سنة، والعديد من المقتنيات التي تعود إلى بيئتي البر والبحر.

متحف بدر صالح

متحف سعيد علي النقبي

متحف خلفان محمد النقبي

ويتسم متحف محمد صالح النقبي، الذي عمل في مجال الزراعة منذ كان بعمر 10 سنوات، إرثاً من أبيه، بفيض من أدوات الزراعة التقليدية القديمة وحفر الـ«الطوي»، وهو بذلك يعيد للأذهان طرق الزراعة القديمة بأدواتها التي صنعها يدوياً، بل بمسمياتها التي تكاد تغيب عن الأذهان، فتعلم من والده كيف يزير (الزايرة)، ويزرع الحب والشعير والقصب والمانجو والفندال والبصل، وهي محاصيل زراعية تنتج في مزارع المنطقة، كما عمل في مجال البحر وصناعة الشوش، ومن أبرز الأدوات التي يمكن للزائر أن يجدها في متحفه: الحابول، الهيار، المقلاع، المرد، المقلب، اللنجات، الدانوج، السميم، المنسف، القدر الفخار، حبال من خوص النخيل، الرشاد، المنحاز، وغيرها كثير، بالإضافة إلى صور مميزة لساحل خورفكان قديماً، حيث كان يسمى «الفرضة»، ثم أصبح «البندر»، قبل أن يصبح ميناء، وصور للسوق القديم.

ولعل ما يتسم به متحف خلفان عبدالله النقبي، هو ذلك التنوّع الذي يحتضنه، فيضم أدوات ومقتنيات تعود إلى تراث الأجداد في خورفكان، وأخرى من ربوع دول الخليج العربية، جمعها ولده راشد الذي وجد في الحفاظ على تلك المقتنيات وجمع غيرها صوناً للتراث، فبنى أولاً عريشاً في منزله، ثم وجد ذلك غير مجدٍ للحفاظ على المقتنيات الثمينة، فبنى

غرفة لها، وكونه من محبي السفر إلى دول الخليج، والتعمق في تاريخها وتراثها، جمع مقتنيات عدة من هناك خلال زياراته، ولعل من أقدم القطع التي يزخر بها المتحف، بعض الحلي الفضية النسائية ذات الطراز التراثي القديم، بالإضافة إلى قطع أخرى من بينها محماس القهوة، صاع، مرشات، مباخر فخارية، ومكوى (أوتي)، ماكنة خياطة، أجهزة صوتية ومرئية، وآلة عود موسيقية، وصور نادرة، وغيرها كثير من المقتنيات.

ويحتضن متحف عبدالله راشد الكابوري، وهو في الأساس بيته، مجموعة من الأسلحة القديمة التي استخدمت للزينة والحروب والدفاع عن النفس والأرض، كما يبرز منحاز خشبي يعود تقريباً لعام 1860م، وفيما يزيد على 100 قطعة تاريخية يحتفظ المتحف بمجموعة من الوثائق ذات الدلالات المهمة، كوثائق من حقبة ما قبل قيام الاتحاد تحمل علم القواسم، وجواز سفر، ومخطط بلدية، ومبايعة، ووثيقة بيع، كما هنالك أدوات تصوير وإنارة من حقبة أحدث، ويقدم المتحف عرض فيديو يعود لعام 1960م.

ويتسم متحف خلفان محمد النقبي بحضور مقتنيات من البيئة الزراعية والبحرية والصحراوية، فمن الزراعية الغرافة أو الزارية، وكانت تستخدم لري المزروعات، بالإضافة إلى مزراعة وشكنة ومسحاة ومحقن. وأتاح له المتحف في المنطقة التراثية أن يميز ويقسم مقتنياته بحسب بيئتها وخصوصيتها، حيث يمتلك العديد من المقتنيات التي تعود لأسرته، من بينها أدوات خياطة يدوية، في وقت كانت الأمهات يخيطن لأبنائهن ملابسهم، ومحازم، وعملات دول خليجية وللإمارات، وصور قديمة منها صورة لخورفكان تعود لعام 1965م، ومذياع وبشتختة وفنر وصراي، وسرير طفل مصنوع من سعف النخيل، وكثير من المقتنيات الأخرى.

خلفان عبدالله النقبي

أبناء خورفكان :

شكراً سلطان القاسمي

حامي التراث والثقافة

ثمَّن أبناء مدينة خورفكان جهود صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حفظه الله، أصبحت الشَّارقة مركزاً عالمياً لحفظ التراث وصونه وحمايته، إيماناً من سموه بضرورة ترسيخ ارتباط الأجيال الحالية بموروث الأجداد مادياً وثقافياً، فأصدر سموه قوانين عدة لحفظ التراث، مشيراً إلى أنَّ هناك جائزة سنوية، برعاية من سموه، للأشخاص من ذوي الإسهامات في حفظ التراث.

وأضاف المنصوري أنَّنا لا نغفل في هذا الإطار جهود معهد الشَّارقة للتراث، بتنظيم أسبوع للتراث في جميع مدن إمارة الشَّارقة «أيام الشارقة التراثية»، وكان لخورفكان نصيب كبير من تلك الجهود، فصاحب السمو حاكم الشَّارقة أعاد إحياء المناطق التراثية القديمة والمتاحف والقلاع، مثل السوق القديم في خورفكان، الذي أصبح بطابع تراثي جميل، يستقبل آلاف الزوار، وكذلك هناك مشروعات تراثية كبيرة قادمة.

سلطان يعقوب المنصوري

وقال سعادة سلطان يعقوب المنصوري، مدير الديوان الأميري بخورفكان، إنَّه بفضل جهود صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، المبذولة للارتقاء بمدينة خورفكان على المستويات كافة، وحفظ التراث الثقافي للمدينة، من خلال افتتاح القرية التراثية في خورفكان.

عبدالله المغني

وأكَّد د.عبدالله المغني أنَّ جهود صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، موجودة في كل مكان بالإمارة، لحفظ التراث وحمايته، وأنَّ افتتاح القرية التراثية بخورفكان يدل على اهتمام سموه بمنطقة خورفكان، وحماية تراثها الذي كان مهملاً من سنين، واليوم أصبحت خورفكان من أهم المناطق للسياحة الثقافية في الإمارة.

وأوضح أن رؤية صاحب السمو حاكم الشارقة، تركَّزت في حماية التراث وصونه، عبر ترميم المباني التاريخية والمواقع الأثرية في إمارة الشارقة، إضافة إلى توجيه سموه بالحفاظ على الأسواق الشعبية التي لاتزال مقصد الكثيرين، وإحياء المناطق القديمة بالشَّارقة.

وأشار إلى أنَّ افتتاح القرية التراثية كان له الأثر الأكبر لدى سكان مدينة خورفكان، لاسيما من حيث التأثير النفسي؛ لأنَّه إحياء لذكرى الأجداد والآباء، وذكريات الزمن الجميل، إلى جانب تحوُّل المنطقة إلى متحف تراثي وثقافي، وأصبحت من أهم الأماكن السياحية في الإمارة، اليوم، إذ نجد السائحين من كل مكانٍ يأتون إلى خورفكان، فشكراً سلطان القاسمي.

خالد الشحي

راشد خميس النقبي

وأشاد خالد الشحي، مدير فرع معهد الشَّارقة للتراث في خورفكان، بدور صاحب السمو حاكم الشارقة في حفظ التراث الثقافي للإمارة بصفةٍ عامة، وخورفكان بصفةٍ خاصة، موضحاً أنَّ مبادرات سموه جعلت المنطقة من أهم مناطق الجذب للسياحة الثقافية في إمارة الشارقة، مضيفاً: «مهما شكرنا سموه فلن نوفيه حقه، لما وفره من سخاء لأبناء الشارقة وخورفكان بصفةٍ خاصة، ويُسر، وعيش كريم، أسعدك الله كما تسعدنا دائماً يا صاحب العطاء والجود».

وأكَّد الشحي أنَّ افتتاح القرية التراثية بخورفكان سيُغير الخريطة السياحية الثقافية للمنطقة، لأنَّها ستحتوي على معلومات أثرية كثيرة، كما أنَّها جعلت أبناء خورفكان في حالة من السعادة لهذا المشروع الكبير الذي يحفظ تراث الأجداد والآباء.

وثمَّن سعادة الدكتور راشد خميس النقبي، رئيس المجلس البلدي لمدينة خورفكان، جهود صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، في إحياء معالم خورفكان القديمة وتأهيلها وتجديدها، مؤكداً الأهمية التاريخية الكبيرة للقرية التراثية في خورفكان، باعتبارها من المعالم والشواهد المهمة على عراقة خورفكان وتاريخها الممتد، كما أنَّ الأجيال الحالية والقادمة ستستفيد من هذا المشروع الضخم الذي يصون تراث خورفكان.

ودعا رئيس المجلس البلدي لمدينة خورفكان، الأهالي لزيارة المدينة والصرح السياحي المهم، والتعرف إلى تاريخه وأهميته، إضافة إلى غيره من معالم تاريخية كبرج الرابي والسوق القديم، وسد الرفيصة ونصب المقاومة، لما لذلك من أهمية في المحافظة على موروث خورفكان وتاريخها الحافل.

فاطمة المغني

فوزية راشد القاضي

وقالت الباحثة والكاتبة فاطمة المغني، إنَّ جهود حاكم الشارقة كبيرة ومتميزة في الحفاظ على الإرث التاريخي والثقافي للإمارة، كما أنَّ مدينة خورفكان تعدّ الجناح المكمل للإمارة في الساحل الشرقي، كما أن الجهود واضحة للعيان، وللقاصي والداني، وأن القرية التاريخية تعد من المشروعات المهمة جداً التي أطلقها سموه، للحفاظ على الإرث الكبير الذي خلَّفه الأجداد؛ ليستفيد منه الأبناء والأحفاد في المستقبل، وأن يشاهدوا الجهود الكبيرة التي بذلها الآباء والأجداد للحفاظ على هذا التراث.

وأضافت أنَّ المتاحف الشخصية أصبحت، اليوم، حفاظاً على المكتسبات، وستكون بمثابة المرآة العاكسة لثقافة المجتمع، ومستوياته الاجتماعية والاقتصادية في الماضي، وستكون القرية التاريخية قبلةً للزائرين من المواطنين والمقيمين، موضحة أنَّه لا يوجد من ينكر دور معهد الشارقة للتراث في تسريع عملية الصيانة، وإبراز التنوعات المختلفة لهذه المنطقة.

وشكرت سعادة المهندسة فوزية راشد القاضي، مدير عام بلدية خورفكان، صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي، لاهتمامه الدائم بأهل خورفكان، وبالمشروعات التراثية الكبيرة التي يقوم بها سموه لحفظ التراث وحمايته من الاندثار من أجل الأجيال الحالية والمستقبلية، مؤكِّدة أنَّهم يثمِّنون مبادرة سموه بإنشاء القرية التراثية في خورفكان، التي ستكون من أجمل الأماكن التراثية في الإمارة لحفظ تراثنا وحمايته.

وتابعت: «شكراً لصاحب السمو على جهوده المبذولة في حفظ التراث، وهذا يحمّلنا – كمسؤولين – مسؤولية كبيرة للمحافظة على هذه المشروعات الضخمة، وأنه يقع على عاتقنا، بالتعاون مع الهيئات المختلفة، ومنها معهد الشارقة للتراث برئاسة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، أن نقوم بدورٍ كبير في نشر الوعي بأهمية التراث والمحافظة عليه لدى الشباب والأجيال القادمة».

رواة من خورفكان

يعدّ الراوي المؤسسة الحضارية والثقافية المتكاملة، وركيزة التراث الإنساني الشعبي القديم، ونقطة الوصول إلى الأحداث القديمة، وإلى نمط الحياة في السابق، من جميع الجوانب، ولخورفكان نصيب كبير من هولاء الرواة الذين حفظوا تراث خورفكان.

الراوي علي عبدالله الميرزا

ولد الراوي علي عبدالله الميرزا في مدينة خورفكان، سنة 1930م، وتلقى تعليمه في إحدى مدارس البحرين، وحفظ القرآن الكريم، اصطحبه والده للعمل ولم يكن يتجاوز الـ12 من عمره، وبعد أربعة أعوام من عمله مساعداً لوالده فحسب، شقّ طريقه بنفسه معتمداً على خبرته التي اكتسبها من والده.

علي عبدالله الميرزا

وتحدث عن عادات السفر البحري، وأن الرحلات البحرية تبدأ من موسم الغوص وبداية القفال، الذي يعد بداية الموسم للسفر البحري الخارجي، ويستمر موسم السفر حتى شهر مايو، وهو بداية موسم الغوص، وفي هذه الفترة تقوم السفن الشراعية بغير رحلة بحرية، فمعظم تلك السفن تتجه إلى البصرة؛ لتشحن

التمر، ثم تتوجه إما إلى موانئ الساحل الغربي للهند، أو إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، وبعضها يتجه إلى موانئ الساحل الجنوبي لليمن.

امتلك النوخذة علي عبدالله الميزرا عدداً من السفن والأبوام والمراكب أثناء عمله في حرفة السفر البحري، بلغ عددها 17 سفينة، ومن تسميات هذه السفن (فتح الرحمن) التي غرقت في خليج عدن أثناء رحلة من الساحل الصومالي إلى الشارقة، أما بوم (الممتاز) فاحترق وهو طارح في النقعة، وهي ميناء الكويت للسفن الشراعية.

وصف النوخذة رحلاته البحرية التجارية، وما تعرض له من كوارث وأحداث، أدت إلى غرق كثير من سفنه، وضياع أمواله، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف عن ممارسة حرفته التي ولد عليها وعاش مخلصاً لها، حتى انتهت هذه الحرفة، وأصبحت من الذكرى، فاستمر يحكي عنها، ولايزال يتذكرها ويحنّ اليها، وهو راو معتمد من معهد الشارقة للتراث، كرّم مرات عدة.

سليمان راشد عبدالله راشد الكابوري

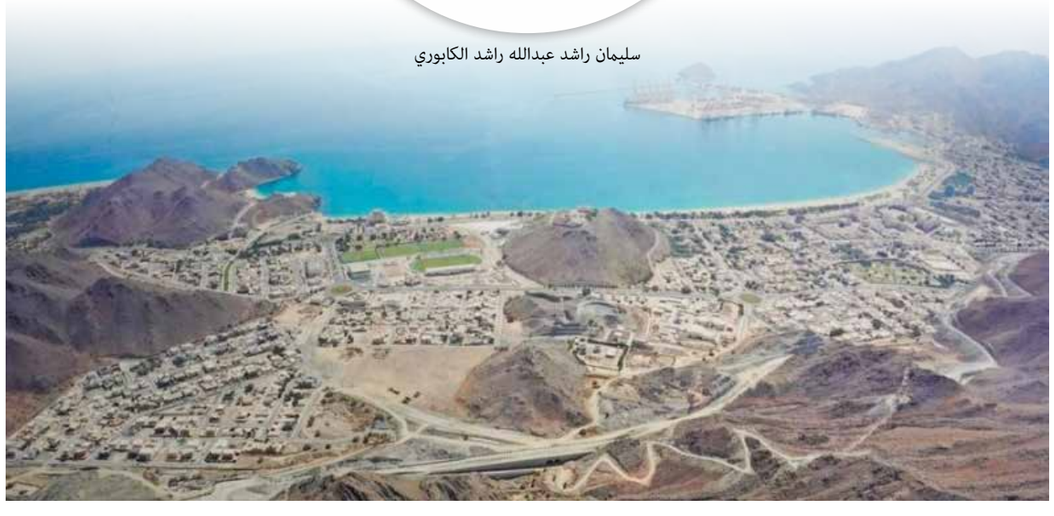

الراوي سليمان راشد عبدالله راشد الكابوري

ولد الراوي سليمان راشد عبدالله الكابوري، في مدينة خورفكان في سنة 1956م، هو من الرعيل الأول الذين قامت على عاتقهم مهمة بناء المؤسسات المحلية في خورفكان ودبا الحصن، بذل جهوداً كبيرة من أجل تحقيق النماء والتطور لبلده وحكومته، لديه 9 من الأبناء والبنات، قضى نحو 38 سنة في العمل في بلدية خورفكان ودبا الحصن، حصل على جائزة الموظف المتميز سنة 1998، وأكثر من 40 شهادة تقديرية، كانت بدايته العملية في بريد خورفكان من

سنة 1967م، حتى نهاية سنة 1970، براتب 40 روبية هندية، انتقل مدنياً إلى مدرسة الشرطة في أبوظبي، بعد عام عاد إلى خورفكان؛ وذلك لغلاء المعيشة في أبوظبي، ليلتحق ببلدية خورفكان في سنة 1973م، في قسم التخطيط، عين سكرتيراً للمجلس البلدي لمدينة خورفكان في سنة 1980م، برئاسة الشيخ صقر بن محمد القاسمي، تنقل في العديد من الوظائف الحكومية، وكان رئيساً لجمعية خورفكان للصيادين، وهو أحد الرعيل الأول الذين قام على أيديهم بناء القرية التراثية بخورفكان، وعمل رئيساً لجمعية الصيادين بخورفكان، وطورها على يديه لتصبح نموذجاً للعمارة التراثية التقليدية الإماراتية، وعمل في إصلاح ذات البين بين القبائل في المنطقة، كما عرف عنه كرم الأخلاق وطيب المعشر، وكان أحد أركان الإشراف على الأعراس الجماعية بخورفكان، مع الأستاذة فاطمة المغني سنة 2005م، ويعدّ، رحمه الله، راوياً متميزاً .

إبراهيم بن أحمد بن محمد النقبي

الراوي إبراهيم بن أحمد بن محمد النقبي

ولد الراوي إبراهيم بن أحمد بن محمد النقبي، في منطقة حياوة بخورفكان سنة 1945م، تعلم القرآن على يد خالته حليمة، درس بالكويت في مدرسة النجاح، ثم أكمل بالإمارات بمدرسة الخليل بن أحمد، عمل منذ صغره في الزراعة، تعلّم المهنة من أبيه، حيث كانوا يزرعون (الفندال، النخل، الخس، الذرة... إلخ)، بعد أن أصبح عمره 15 سنة تقريباً، بدأ بالسفر مع النوخذة محمد صالح للتجارة إلى البصرة، يحملون التمر البصري إلى الهند، ثم يحملون من الهند الكابريل إلى مدينة عدن باليمن، ومنها إلى دول إفريقيا (زنجبار، لامور، دار السلام)، يحملون الكندل إلى البحرين والكويت وقطر، وتستغرق كل رحلة من أربعة إلى خمسة أشهر تقريباً في الصيف، بعدها بسنتين اتجه إلى الكويت، اشتغل في التربية مراقب عمال (يشرف على العمال في عملية بناء المدارس، منها مدرسة النجاح، وخالد بن الوليد، ومدرستين بمدينة فيلكا.. إلخ). وفي عام 1973م رجع إلى الإمارات بعد قيام اتحاد الإمارات وظهور البترول، اشتغل في وزارة التربية بخورفكان سائقاً بمدرسة الخليل بن أحمد للبنين، ومدرسة باحثة البادية للبنات، عمل مراقب باصات، ثم أصبح مديراً بمواصلات الإمارات بالمنطقة الشرقية لمدة 25 عاماً، عين من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، في لجنة الإصلاح بين الناس ودياً في المنطقة الشرقية في بعض القضايا المعروضة بالمحكمة، وهو من وجهاء المنطقة، ومن الساعين في قضاء حوائج الناس بالمنطقة، ومن مؤسسي مجلس أولياء الأمور وجمعية الفنون الشعبية والمسرح.

خورفكان .. التاريخ والأصالة

لـم تكـن خورفكان لتسـتحق لقب عـروس السـاحل الشـرقي، إلا إذا كان لها نصيب كبيـر منه، تؤكده حقائـق الجغرافيـا وتفـرد التـراث وجمـال الطبيعـة التي جعلـت اللقب حقـاً أصيلاً لها لـم يأتِ من فـراغ، فهـي بحـق متعـة للناظريـن بطبيعتها المميـزة التي لا تشـبه إلا نفسـها، لوحة طبيعيـة رائعة، ولتاريـخ خورفـكان أصالـة تجد ملامحها على وجـوه أهلها الذين اعتمدوا في معيشـتهم على هبة الله التـي منحهـا لهـم في الطبيعة؛ لتجعـل معظم نشـاطهم في الصيد والزراعـة، خاصة بعدما اشـتهروا بالغـوص بحثـاً عـن اللؤلؤ، مصـدر رزقهم فيما مضـى، وصدرت الكثيـر من الكتب التـي تتحدث عن خورفـكان وتاريخهـا، ونسـتعرض معكـم في هـذا التقرير أبرز الكتـب التي كتبت عـن خورفكان.

- تاريخ خورفكان

تاريـخ مدينـة خورفـكان الاجتماعـي والاقتصادي في النصـف الثانـي من القرن العشـرين، لمؤلفـه الدكتور عبـدالله سـليمان المغني، هو سـفر تاريخـي وتوثيقي حـوى بـين دفتيه مـادة أصيلـة، ترتحل بالقـارئ بين العصـور، ابتـداء من العصـور الموغلـة في القدم حتى النصـف الثاني مـن القرن العشـرين، وتحديـداً منذ بدايـة الخمسـينيات حتـى مطلـع الثمانينيـات، وهو موضـوع جميـل ومشـوّق وجالـب للذكريـات، علـى الرغـم ممـا يكتنفـه من صعوبـة ووعورة ومشـقّة.

يتألـف الكتاب، الصادر عن معهد الشـارقة للتراث، من عشـرة فصول، تتنـاول مختلف جوانـب التاريخ الثقـافي والاجتماعي والاقتصـادي للمدينة، خلال الفتـرة المدروسـة، ويسـرد المؤلف قصـة اهتمامه بهذا الموضوع، وبداية انشـغاله به واشـتغاله عليه، حيـث يقـول: بدأت فكـرة تأليف هـذا الكتاب في بدايـة 2017م، وقد اتخـذت منهجاً تميز بالرجوع إلـى المصادر الأصلية، وبعض المراجع التي سـبق وتناولـت أجـزاء مـن هـذا الموضوع، واسـتعنت كذلـك بالوثائـق الخاصـة ببعـض الأهالـي، والصـور المحفوظـة لـدى بعـض مـن عاشـوا تلـك المرحلـة، وحاولـوا توثيق جـزء منها، بما لديهـم من وسـائل وإمكانات تقنيـة متواضعة، واعتمـدت كذلـك علـى إجراء أكثر من سـتين مقابلـة شـخصية مـع الأشـخاص الذيـن عاصـروا تلـك الحقبـة، حاورتهـم شـخصاً شـخصاً، وقضيـت معهـم أجمل السـاعات، وأروع اللحظـات، التـي امتـد بعضهـا إلـى منتصـف الليل، وتمنيت لو أسـعفني الوقـت وقابلت المزيـد منهـم، وهذه الحـوارات لم تكن مادة سـردية إنشـائية حنينيـة فحسـب، بـل هـي خـزان تاريخي ضخـم، زاخر بخبـرات حياتية، وتجـارب واقعية من حياتهـم، ومعلومـات قيّمة ونـادرة ذات صلة بشـتى صـور الحيـاة الاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصاديـة والرياضيـة، مـن عقـد الخمسـينيات إلـى مطلـع الثمانينيـات لمدينـة خورفكان.

إن هـذا العمـل التاريخي الجامع يسـد فراغـاً كبيراً على مسـتوى الدرس والبحث التاريخي حول تاريخ

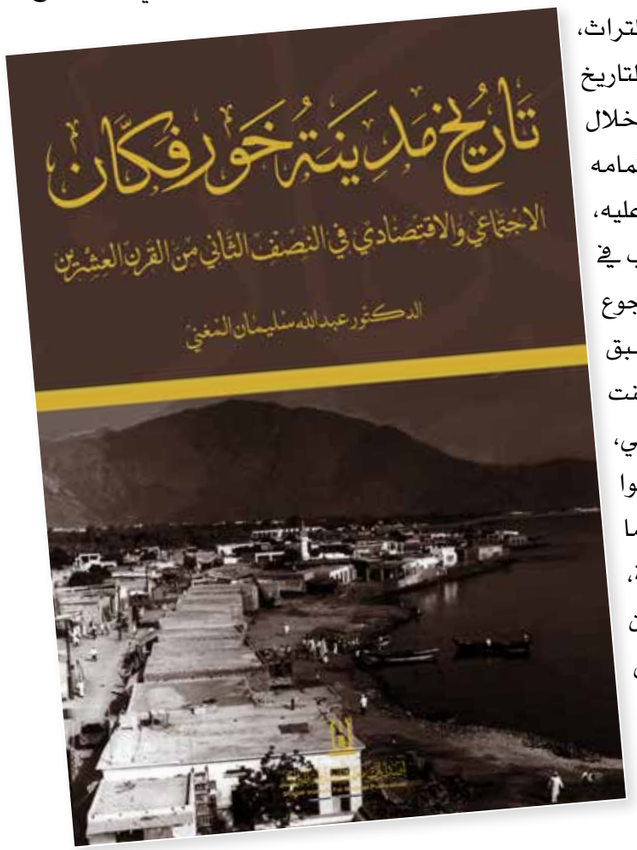

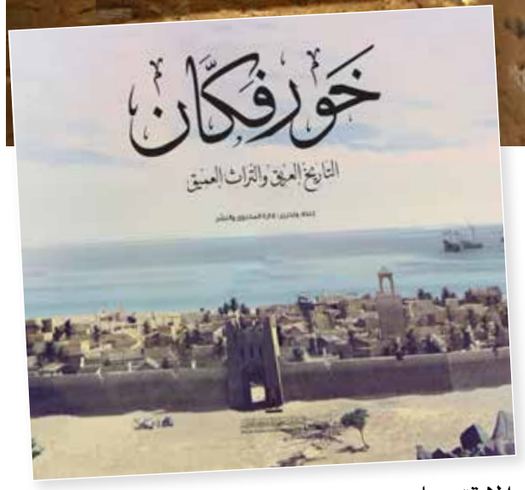

مدينة خورفكان، خاصة أن مؤلفه بحّاثة قدير، خبر البحث ودروبه منذ آماد الطلب، وله فيه صولات وجولات مشهودة، أكسبته الخبرة والمراس، والقدرة على الإحالة بمختلف جوانبه، والجمع ببين فصوله وضروبه، فقدّم للباحثين كتاباً جامعاً فريداً زاخراً وغنياً بالمعلومات التاريخية الموثقة التي استقاها من مصادرها الأصلية.

- خورفكان التاريخ العريق والتراث العميق

يوضح الكتاب استيطان الإنسان في منطقة خورفكان منذ عصور موغلة في القدم، تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد، كما تحيل القبور والنقوش المكتشفة في المنطقة إلى بقايا الإنسان الذي سكنها في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وقد شكّل الموقع الاستراتيجي لخورفكان عبر التاريخ عامل جذب واستقطاب للتبادل الاقتصادي، بوصفها مركزاً تجارياً حيوياً يقع على مقربة من مضيق هرمز التاريخي.

وتعكس المعلومات التي دوّنها الرحالة والجغرافيون العرب والأجانب الذين زاروا المنطقة في فترات زمنية مختلفة، أو كتبوا عنها، الأهمية التاريخية والجغرافية والاقتصادية لخورفكان، ومنهم: ياقوت الحموي (626هـ/ 1228م)، وابن المجاور (ت

690هـ/ 1297م)، وابن بطوطة (779هـ/ 1377م)، وغيرهم كثير، كما ورد اسم خورفكان في التقارير والوثائق البرتغالية والهولندية والبريطانية، بالإضافة إلى الكتابات المحلية التي عرّفت بالمدينة وموقعها الجغرافي وأهميتها التجارية.

- خورفكان في كتابات الرحّالة العرب والغربيين

لم تخلُ التقارير والكتابات حول خورفكان من استحضار ضاف وعرض شامل لمقدراتها وخيراتها، وما حباها الله من جمال في طبيعتها، وموقعها الحيوي، وموانئها التجارية، وبخاصة في نطاق الاهتمام الاستعماري الأجنبي المتزايد، حيث كتب عنها ج.ج. لوريمر في كتابه «دليل الخليج» وصفاً قال فيه «قرية ساحلية في وسط الشميلية في ساحل عُمان، تبعد 25 كيلومتراً عن خور كلباء، وعشرين ميلاً جنوب غربي، وتقع على الشاطئ الجنوبي، ويوجد ميناء صالح لرسو المراكب، وفي القرية مزارع للنخيل، وتحوي قراها 5000 نخلة، كما تتوافر فيها الأسماك والخضراوات والأبقار والدواجن، ويبلغ تعداد السكان نحو 800 نسمة، يعيشون على زراعة القمح والغوص وراء اللؤلؤ، ولهم نحو أربعة أو خمسة مراكب، تعمل بجوار الساحل، وتبحر إلى مسقط وأماكن أخرى في الخليج، وفيها ما يشبه الدكاكين».

خورفكان في غابر الأزمان

من خلال كتابات الرحّالة والبلدانيين

تُعدّ مدينة خورفكان واحدة من المدن العريقة التابعة لإمارة الشارقة، فقد سكنها الإنسان منذ القدم، ووجدت فيها آثاره الأولى، التي عكست نمط حياته، والتي تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد، كما تحيل القبور والنقوش المكتشفة في المنطقة إلى بقايا الإنسان الذي سكنها في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وقد شكّل الموقع الاستراتيجي لخورفكان عبر التاريخ عامل جذب واستقطاب للتبادل الاقتصادي، بوصفها مركزاً تجارياً حيوياً يقع على مقربة من مضيق هرمز التاريخي.

د. عبدالله المغني
كاتب وباحث أكاديمي - الإمارات

تحيل المعلومات التي دوّنها الرحّالة والجغرافيون العرب والأجانب، الذين زاروا المنطقة في فترات زمنية مختلفة، أو كتبوا عنها، إلى الأهمية التاريخية والجغرافية والاقتصادية لخورفكان، ومنهم: ياقوت الحموي (626هـ/ 1228م)، وابن المجاور (ت 690هـ/ 1297م)، وابن بطوطة (ت 779هـ/ 1377م) وغيرهم كثير، كما ورد اسم خورفكان في التقارير والوثائق البرتغالية والهولندية والبريطانية، بالإضافة إلى

الكتابات المحلية التي عرّفت بالمدينة وموقعها الجغرافي، وأهميتها التجارية.

وتحتفظ لنا المدوّنات التاريخية والجغرافية التي دوّنها المؤرخون والبلدانيون العرب وغيرهم بالكثير من المعلومات المهمة حول تاريخ المدينة ومختلف جوانبها الحضارية والتراثية، والتي استقوها من مشاهداتهم عن مدن الخليج وموانئه ومراكزه ومواقعه، ولم تخلُ معلوماتهم من معطيات تعريفية مفيدة عن المكان وسكانه في غابر الأزمان، ومن ذلك ما دوّنه الكتّاب والرحّالة عن مدينة خورفكان، حيث يقول ياقوت الحموي (626هـ/ 1228م)، في كتابه «معجم البلدان»: «وخَوْرُفكّان بليد على ساحل عمان، يحول بينه وبين البحر الأعظم جبل به نخل وعيون عذبة».

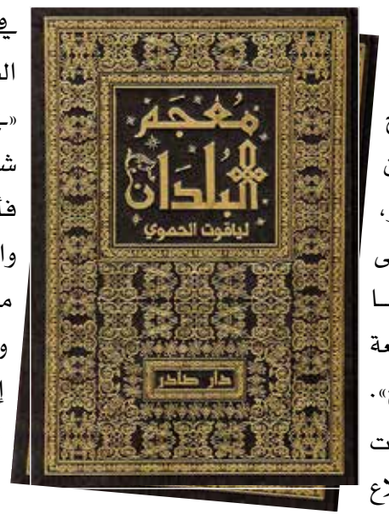

ويقول ابن المجاور الشيباني (ت 690هـ/ 1297م)، في كتابه «تاريخ المستبصر»، في سياق حديثه عن المدن المهمة في إقليم صحار، محدّداً المسافات بينها: «وإلى العقر أربعة فراسخ، وإلى كلبا أربعة فراسخ، وإلى خورفكان أربعة فراسخ، وإلى دبا أربعة فراسخ».

أما ابن عبدالحق البغدادي (ت 739هـ)، في كتابه «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»، فقد كان تعريفه للمدينة مختصراً أكثر من غيره، حيث يقول: «وخورفكان بليد على ساحل عمان».

بينما اشتمل وصف الرحّالة المغربي ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م)، في كتابه: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، الذي ضمّنه مشاهداته عن مدن الخليج وموانئه ومراكزه، على معلومات مهمة، تحيل إلى أهمية المنطقة تاريخياً وتجارياً، حيث يقول: «ومن مدن عمان القريات وشبا وكلباء وخورفكان وصحار، وكلها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخيل».

أما الكتابات العربية الحديثة، فقد حاول أصحابها وصف المدينة وصفاً أكثر دقة ووضوحاً وشمولاً، وذلك ما نطالعه فيما ذكره أحمد قاسم البوريني، في كتابه «الإمارات السبع على الساحل الأخضر»، حيث يقول: «في اليوم الثاني، تابعنا المسير شمالاً نحو الشاطئ، ثم انحدرنا، فأشرفنا على مزارع البرتقال والمانغو والخضار، التي ترويها مياه الآبار بوساطة المضخات، وخورفكان منظمة، حسنة الموقع؛ إذ تحتضنها الجبال بذراعين تمتدان إلى البحر؛ لتشكلا ميناء طبيعياً، وفي الواقع إنني تذكرت

حيفا عندما شاهدت خورفكان، مع فارق التقدم، أما حركتها التجارية والزراعية فلا بأس بها، وكان من المنتظر أن ترسو في مينائها البواخر لأول مرة في حزيران سنة 1954، ويعيش سكانها على صيد الأسماك، والزراعة والتجارة، وفيها نحو عشرين دكاناً، ومقهى واحد، وستة مساجد، ويقوم الأولاد والنساء بغزل خيوط لشباك الصيد، ويرسو في مينائها يومياً نحو عشرين مركباً، تحمل البضائع من شرق إفريقية والهند وإيران إليها».

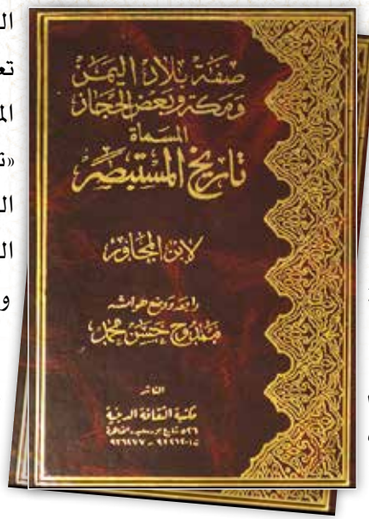

وعرّف المؤلف محمود بهجت سنان، في كتابه «إمارة الشارقة»، (1967م)، مدينة خورفكان تعريفاً ينمّ عن التطور الذي شهدته المدينة عبر تاريخها، حيث يقول: «تعتبر مدينة خورفكان المدينة الثانية من مدن الشارقة، من حيث السمعة، وكثرة السكان والعمران، وهي مركز المنطقة الشرقية.

تقع المدينة على خليج جميل، يبلغ قطره نحو أربعة كيلومترات، ويسمى بالخور، يبرز في بدايته ونهايته رأسان داخلان في البحر على هيئة فكين، فبذلك سمي خورفكان، يشطر المدينة وادٍ كبير، ينحدر من مرتفعات رؤوس الجبال، حفرت في قعره آبار عدة

عذبة المياه، لا يتجاوز عمقها بضعة أقدام، تحيط بالمدينة بساتين النخيل والحمضيات والفواكه والموز، يبلغ طول المدينة نحو كيلومتر ونصف الكيلومتر، على ساحل البحر، ويبلغ عدد دورها نحو (500) دار، في سوق المدينة نحو (100) حانوت، فيها مختلف أنواع البضائع والمعلبات.

وتعتبر خورفكان السوق الطبيعية لساحل خليج عمان؛ لأهمية مينائها الذي لا يخلو دوماً من عشرات السفن الراسية فيه؛ لنقل البضائع التجارية أو للتموين بالماء والزيوت والنفط، وغير ذلك... يشتغل معظم سكان المدينة بصيد السمك، وخاصة سمك البرية، ويشتغل بقية السكان في الزراعة والفلاحة، والعمل في البحر والتجارة».

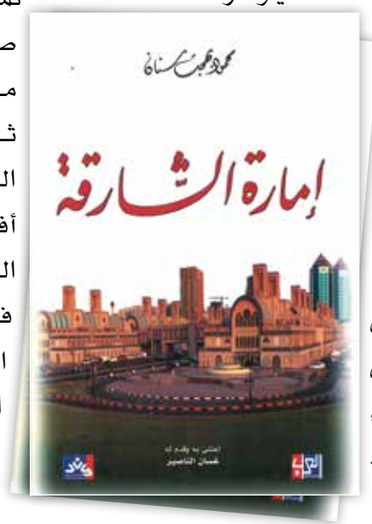

تمثّل هذه المعلومات والانطباعات صورة مهمة، تعكس جوانب مختلفة من تاريخ المدينة في غابر الأزمان، ثم ما آلت إليه خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، مما وثّقته أقلام أولئك الكتّاب والرحّالة الذين جابوا المنطقة جيئةً وذهاباً، فقدّموا سجلاً حافلاً بالمعلومات الغنية التي تسرد ملامح الحياة اليومية، وطبيعة السكان والمكان، وما طاله من تغيّرات وتحوّلات عبر العصور.

خورفكان
قصة ورسالة

يا حادي الركب طول السير أضناني
قف بي تمهل فهذي خورفكان

مريم سلطان المزروعي
كاتبة – الإمارات

هناك العديد من المناطق الأثرية التي تحمل بين طيّاتها تاريخ دولة، وكما يقال تقاس أهمية الشيء في قديم الزمان بوجود مقومات الحياة فيه، فتزيد وتكبر أهميته بكثرة ما فيه من خيرات؛ لذلك هذه المواقع حملت قصة ورسالة رسمت بين جدرانها ورمالها تاريخاً لا ينسى، تقول الشيخة فاخرة بنت هزاع آل نهيان:

الحيرة والحمّرية
دار العرب الأيود
لا صاح فيها الواشي
ولا بعد حساد

الشارقة بلد الأصالة والعراقة والجمال، بلد العجائب ومغامرات سندباد والملاح أحمد بن ماجد أسد البحار، تنقسم الشارقة إلى قسمين، الأول: الجانب الغربي، ويقع على الخليج العربي، الذي توجد فيه العاصمة، والقسم الثاني: يقع على ساحل خليج عُمان، الذي يضم مدينة خورفكان ودبا الحصن وكلباء.

مدينة خورفكان مزيج ما بين تراثها وحضارتها القديمين، تقع على الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة، في منتصف المسافة بين دبا والفجيرة، فهي ميناء طبيعي على طول الساحل الممتد من مسقط حتى رأس مسندم، تتألف من مناطق هي اللؤلؤية والزبارة والحراي وشيص والنحوة، مدينة الحضارة والقدم والجمال، بآثارها وأطلالها وجبالها الشامخة الشاهقة، وبيوتها التي هجرها كثيرون، والمصنوعة من الأحجار الصخرية من الجبال القريبة المحيطة بها، والأخشاب التي كانت تجلب من جذوع النخل أو الخشب المستوردة المحمل بالسفن من البلدان البعيدة، بقيت آثارها صامدة إلى اليوم أمام متغيرات الحياة، وشوارعها وطرقاتها الضيقة، كانت مركزاً للملاحة وللتجارة القديمة، التي كانت تستقبل القادمين إليها من الهند وإفريقيا، ومن أشهر الموانئ وأجملها على خليج عُمان، لما تمتاز به من طبيعة صنعت بقدرة الخالق، سواحلها المنتعشة بصناعة السفن، وبمياهها الخضراء ورمالها الناعمة البيضاء.

ذكر ابن بطوطة أنه عندما زار هذه المدينة الجميلة، ورأى تكوينها الجغرافي عبارة عن جبلين بينهما خور، شبّه الجبلين بالفكين، وأطلق عليها خورفكان، وهذان الفكان يحيطان بها ويحميانها من كل المؤثرات الهوائية والرياح والظروف الجوية، ولكونها تطل على مياه خليج عُمان، وعلى الرغم من أنها ميناء جميل وهادئ، إلا أنها كانت مسرحاً للحروب القاسية المريرة، وهناك فرق ما بين مستعمر ورحّالة، وإذا جئنا للأهداف التي جعلت الرحّالة يندفعون إليها، كانت إما حباً للاستكشاف والاطلاع عليها، أو بحثاً عن اكتشافات علمية وتجارية، أو أهداف دينية واستعمارية.

جاء في كتاب صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، «مقاومة خورفكان للغزو البرتغالي سبتمبر 1507»، مدينة خورفكان تعرضت لظروف قاسية، واحتلال غاشم، لكن الأهالي أثبتوا

قوتهم وشجاعتهم وصمودهم وتلاحمهم لصد الاستعمار البرتغالي، الذي كان بقيادة الجنرال البحري ألفونسو دي ألبوكيرك، خلال القرن السادس عشر، فقد كانت قصة التضحية والكفاح والألم، فقد ارتكبت فيها أقسى المجازر المتوحشة، وأحرقوها بلا رحمة.

ويقول عبيد محمد في مقابلة شفاهية معه: «خورفكان مدينة عشت فيها طفولتي، أذكر أنها تمتاز بمساجدها الجميلة، ومآذنها الطويلة، وأسواقها ذات الرائحة المملوءة بالبهارات والتوابل الزكية، وبيوتها المبنية من الطين، وسقوفها من جذوع النخل، خورفكان كانت فيها الخيرات الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، فكانت مطمعاً لكثيرين، وغابات مترامية الأطراف من أشجار الغاف والسدر والرمث والمرخ، مدينة خلابة تحيطها مزارع البرتقال والمانجو والليمون والموز، ولما فيها من كنوز دفنت بين طيات صخورها وطبقاتها، تسمى عروس الساحل الشرقي، تحتوي أجمل كورنيش رأته عيني، وهي حالياً مكان ترفيهي وجذاب لاستقطاب السياح؛ لاهتمام صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، بها، ومنتجع سد الرفيصة في منطقة شيء، الذي رممه شيخنا سلطان – الله يطول عمره – وقد تغنى بها المطربون، وكُتبت فيها القصائد:

ارتحل يا طير عالمسرا
ع هبوبٍ باردٍ نوده
كامله يالخور كالبَدرا
لين توصل آخر حدوده
قادها سلطان عالمجرا
حطّها شيخ ع زنوده
حطّها في أوّل السطرا
وافي للدار بعهوده
إعشبت بيدينك القفرا
يا ضمير الشعب يا جوده
ابكفوفه جروحها تبرا
خورفكان بالخير موعوده

الوالدة فاطمة خلفان عبود، من سكان منطقة اللؤلؤية، تؤكد أن هذه المنطقة لها صلة مباشرةً بخورفكان، وتقع بعد شارع الشاطئ، وأصل التسمية من كلمة «الولية»؛ أي الولاية، تقول: «كانت العلاقات بينا وبين منطقة خورفكان قوية، وكنا نتبادل كل شيء معهم، فقد كنا نمتلك المزارع ونتبادل معهم الفندال والرطب والليمون والترنج، ونذهب به لأهالي الخور، وبالمقابل نأخذ منهم الأسماك والأناناس والخوخ والأرز والسكر؛ أي المواد الغذائية بأنواعها المختلفة، فقد كانت الدكاكين

موجودة في الخور، والذي يميز الخور طيبة أهله، وكرمهم، فقد كانوا يكرمون الضيف ويقدمون له كل ما يستطيعون تقديمه، حتى لو كانوا فقراء لا يملكون شيئاً، وتمتاز مدينة خورفكان بشاطئ ومرسى، فقد كانت ولاتزال منطقة حية، ترسو فيها السفن التي تأتي إليها من كل مكان من الكويت وإفريقيا والهند وإيران والبصرة، وأذكر كان لديهم مستشفى وأسواق، وصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، – أطال الله عمره – اهتم كثيراً بخورفكان، فقد كان يشرف بنفسه على هذه المنطقة والمناطق الأثرية المحيطة بها، والموجود في الشارقة بشكل عام؛ لأهميتها الكبيرة، فهي الوجه الحضاري والجمالي والسياحي، كثيراً ما كان يشجّع ويوجّه الجهات المعنية بمتابعة هذه المواقع وصيانتها، والملاحظ أن كثيرين أصبحوا يأتون إليها من كل إمارات الدولة، كدبي والشارقة وعجمان، ولا ننسى كذلك السياح الأجانب الذين يأتون إليها للاستجمام بها، خورفكان جميلة، وأصبحت أجمل».

والملاحظ هذا الاهتمام، الذي بدأ في الفترات الأخيرة من قبل جميع إمارات الدولة، بالآثار وبترميم القلاع والحصون التاريخية، وصيانتها وإعادة تأهيلها، لما لها من أهمية في حفظ وصون التاريخ، فهناك توصيات بأهمية المحافظة على القلاع والمعالم التراثية في الدولة؛ لأنها تحكي قصص الأسر والقبائل، وهي إن دلّت على شيء فتدل على عراقة وأصالة المدن؛ لذلك لابد من نشر الوعي بأهمية الآثار لدى الأفراد، وتعزيزه، فهذه هوية وطنية، ولابد من توثيق هذه الشواهد للأجيال القادمة، ومراجعة الوثائق القديمة بالمرويات الشفاهية، وتوفير خدمات تنموية للمشروعات التي تتعلق بترميم هذه الآثار والمحافظة عليها، فهذه المقتنيات تحكي لنا التاريخ والأحداث المهمة، ولها قيمة معنوية، فهي تعرفنا بتاريخ أجدادنا؛ لأن من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، كما أن هذه الآثار لها فائدة بأن تكون أداة جذب للسياح، ولزيادة مدخول الدولة، وغرس مفهوم الهوية الوطنية، فهي مسؤولية وطنية ورسالة عظيمة، لابد أن تحملها الأجيال، وتتمسك بها، وخير رسالة وأجملها مدينة خورفكان، كما قال الشاعر الإعلامي راشد شرار:

أنا بشر ما الله خلق لي جناحين
لكن قلبي طار بي دون جنحان
سابق ظلام الليل من قبل لايحين
خذني ونزلني وسط خورفكان
فيها يجر البحر همس البساتين
حتى سمعنا بينهم عزف والحان.

الخرافة
في الفلكور الكويتي

«كان يا ما كان، في قديم الزمان»، كانت العبارة هذه تصيب أسماعنا بسحر الدهشة، وتجعل أبصارنا تشتد في انتظار حلاوة الآتي، من فم ذلك الراوي، الذي أرسلها ليقص بها شريط رحلة ممتعة مملوءة بسلسلة من العجائب والغرابة والمستحيلات والصعوبات والمغامرات والبطولات، والمواقف الملوّنة بالفرح والحزن والأمن والخوف والثراء والفقر والحُب والبغضاء.. وغيرها، ونحن مستمتعون صامتون متحلقون حول ذلك الراوي.

حسين الراوي
كاتب من الكويت

للحكايات الشعبية جزء كبير من مستودع الثقافة والذاكرة لدىّ الأجيال المتعاقبة، التي كانت تعيش ببساطة روحية ومادية في تلك الحقبة الزمنية من حياتهم، ورغم تطوّر الحياة في جميع جوانبها، ورغم انقراض دور الراوي الحقيقي، لاتزال الحكاية الشعبية حاضرة؛ بماضيها وأدبها وذاكرتها، وأهميتها في حياة كل شعوب العالم.

الخرافة في ذاكرة الشعوب:

للخرافة في فولكلور الشعوب ذاكرة لا تنسى، ولا تبرد، ولا تموت، وذلك لأن بين الخرافة وفولكلور الشعوب علاقة وطيدة، نمت وكبرت واستوت في أذهان أجيال متعاقبة، جيل يُسلّمها لجيل، حتى أصبحت الخرافة إرثاً من فولكلور الشعوب.

- معنى خُرافة:

قال ابن منظور في لسان العرب: والخُرافةُ الحديثُ المُسْتَمْلَحُ من الكذِبِ. وقالوا: حديث خُرافةَ، ذكر ابن الكلبي في قولهم حديثُ خُرافة أَنّ خُرافةَ من بني عُذْرَةَ أَو من جُهَيْنةَ، اخْتَطَفَتْه الجِنُّ ثم رجع إلى قومه فكان يُحَدِّثُ بأَحاديثَ مما رأى، يعْجَبُ منها الناسُ، فكذّبوه، فجرى على أَلْسنة الناس.

وقال الثعالبي في ثمرات القلوب: كانت العرب إذا سمعت حديثاً لا أصل له، قالت حديث خرافة، ثم كثر هذا في كلامهم، حتى قيل للأباطيل والترهات خرافات.

وقال النهرواني في الجليس الصالح: عوام الناس يرون أن قول القائل: هذه خرافة، إنما معناه أنها حديث لا حقيقة له، وأنه مما يجري في السمر للتأنس به، وينتظم من الأعاجيب وطرف الأخبار ما يرتاح إليه، ويستمتع أهل الأندية بالإفاضة فيه، ويقطعون أوقات ندامهم بتداوله، وأنه أو معظمه لا أصل له.

وقال خير الدين الزركلي في الأعلام: خرافة: رجل من بني عذرة، غاب عن قبيلته زمناً ثم عاد فزعم أن الجن استهوته، وأنه رأى أعاجيب جعل يقصها عليهم، فأثر، فقالوا في الحديث المكذوب (حديث خرافة)، وقالوا فيه: «أكذب من خرافة».

(الفولكلور)

لكل شعب من شعوب العالم فولكلوره الخاص به، بحقائقه وخرافاته، وفي أحيان نجد تشابه فولكلوري بين الشعوب، وهذا يعود لأسباب متعلقة بالتوافق الديني والتشابه الجغرافي والتقارب العرقي بين تلك الشعوب.

- تاريخ مصطلح فولكلور ومعناه:

جاء في كتاب «نظريات الفولكلور المعاصرة»، للدكتور دورسون، «ظهر الفولكلور كميدان جديد من ميادين الدراسة في القرن الثامن عشر، عندما بدأ دارسو الآثار في إنجلترا، والباحثون في ألمانيا، يبدون اهتماماً كبيراً بأساليب معيشة الطبقات الدنيا، ففي ألمانيا بدأ الأخوان ياكوب وفيلهلم جريم عام 1812 في نشر مجموعة كتب كان لها تأثيرها الكبير عن القصص الشعبي الشفاهي، وتفسيرات للميثولوجيا الجرمانية. وكان الاسم الذي استخدمناه للدلالة على هذا الموضوع هو فولكسكنده، وبعد ذلك وفي الثاني والعشرين من شهر أغسطس عام 1846م، أرسل الأثري الإنجليزي ويليام جون تومز W jhon Thomas، خطاباً إلى مجلة أثينيوم Athenaeum، وهي مجلة تخاطب ذلك القطاع من المثقفين المهتمين بالغرائب والطرائف، يقترح فيه تبني كلمة (فولكلور) lore Folk، بحيث تستخدم منذ ذلك الوقت فصاعداً بدلاً من عبارة الآثار الشعبية الدارجة Popular Antiquities ، التي يصعب جريانها على الألسن بسهولة، وحدث بالفعل أن شاعت هذه الكلمة،

وأثبتت قيمتها في تحديد ميدان جديد من ميادين المعرفة، وموضوع من موضوعات البحث».

وفي معجم المعاني الجامع، معنى فولكلور: تراث شعبي، ومجموع التقاليد الشعبيَّة والعادات الخاصّة بثقافة بلدٍ ما وحضارته.

وفي معجم اللغة العربية المعاصر معنى فولكلور: مأثورات شعبية، أو تراث شعبي.

(الحكاية الشعبية ماضٍ حيّ)

الحكاية الشعبية في الزمن القديم، زمن البساطة، زمن البيت الواحد الذي تسكنه أكثر من عائلة، زمن حكايات الجد والجدة، زمن النُدرة في التلفزيونات والراديوهات، زمن فتيل السراج المشتعل، وزمن المصابيح الكهربائية المعدودة في البيت القديم، الزمن الذي لم يكُن يتصوّر أهله ظهور الآيباد والآيفون والبلاي ستيشن، حيث كانت في ذلك الزمن للحكاية الشعبية قيمة فكرية ومعنوية وتربوية، وكان لحديث الراوي بريق من اللهفة، وسطوة من الفضول، ومنزلة عزيزة في قلوب أهل ذلك الزمن الجميل.

الشعب الكويتي لديه فولكلور متخم بالحكايات الشعبية الرائعة، التي هي من نسج الواقع، وأيضاً من نسج الخيال، حيث لاتزال الترسانة الفكرية الكويتية، بفضل تلك الحكايات الشعبية، تمد الكِتاب والمسرح والتلفزيون والإذاعة والمدارس والصحافة بمداد رحيق إرثها الطهور، منذ زمنها الأول حتى هذا الزمن.

- أنواع الحِكايات الشعبية:

قسّم الباحث البحريني إبراهيم سند الحكايات الشعبية تقسيماً جيداً، وهو:

-الحكاية الشعبية الواقعية.

- الحكاية الخرافية.

- الحكاية المرحلة.

- حكاية الحيوان.

- حكاية السيرة الذاتية.

- سِمات الحكاية الشعبية:

1. قد تكون مُدوّنة في أصلها، وقد تكون شفوّية.
2. عنصر التشويق يحتل فيها جزءاً كبيراً.
3. سهلة الطرح، بسيطة المحوّر، غير معقدة.
4. قصيرة، ليست ممتدة الطول، ولا متشعّبة.
5. غالباً ما تكون غير محددة الزمن التاريخي.
6. ترتكز على قيمة اجتماعية.
7. غالباً ما تكون هناك شخصيات بطولية في الحكاية الشعبية.
8. الصراع بين الخير والشر من أهم محاورها عادةً.

(علاقة الخرافة بالحكاية الشعبية)

تحتل الخرافة جزءاً مهماً في خريطة الحكاية الشعبية، الشفهية منها أو المُدوّنة، وبعض تلك الخرافات قفز من جسد الحكاية الشعبية، وتجاوز مساحتها في الفولكلور الشعبوي، ووصل لحياة الأفراد اليومية! حتى أصبح شيئاً مُسلّماً فيه لسنوات طويلة، وبعضها لايزال مستمراً تصديقه عند بعض الشعوب، ويحتل جزءاً من ثقافتها. وفي ذلك يقول عالم الأنثروبولوجيا الأسكتلندي جيمس فريزر، في كتابه «الغصن

الذهبي»: «كم سيكون مفجعاً أن تكتشِف الأجيال القادمة مدى سيطرة الخرافات على العِلم، ومدى تعنُّت الأساطير وجبروتها في الدفع والتحكم في حركة التاريخ».

- سِمات الحكاية الخرافية في الفولكلور الشعبي:

1. شفوية في الأصل.
2. طويلة في أحداثها.
3. مرتبطة بالأحداث الغريبة والخيال والقدرات الخارقة والقوى الغيبية.
4. سهلة في لغتها، وبسيطة في شكلها وأسلوبها.
5. أدوار البطولة فيها ليست حِكراً على البشر، بل قد تكون البطولة فيها للحيوان أو لبقية المخلوقات أو لكائنات غريبة الشكل.
6. عادة ما تكون تستدعي الخوف والرعب والدهشة.

(الكائنات الخرافية في الحكاية الشعبية الكويتية)

ولأنها حكايات شعبية خُرافية نسجت من الخيال، يكون باب الغرابة لها مفتوحاً على مصراعيه، ولاشك في أن الحكايات الخرافية في الفولكلور الكويتي جاءت بشخصيات شهيرة لاتزال الأجيال تلو الأجيال تتداول حكايتها، وتتناقل أخبارها، وتذكرها في أكثر من اتجاه.

وعن سبب ظهور الكائنات الخرافية في الفولكلور الشعبي، يقول أستاذ الأنثروبولوجيا في قسم علم الاجتماع بجامعة الكويت محمد الحداد، في لقاء مع وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، في تاريخ 2015/12/10م، «إنها تنشأ لوظائف محددة، منها ما يتعلق بالصحة، ومنها ما يتعلق بالسلامة، فيتم اللجوء إلى تأليف قصص من الخيال تتسم بالوحشية والخوف والغرابة، وتتم روايتها للأطفال، وحتى الشباب والعامة، بقصد إخافتهم،

ودفعهم إلى إطاعة أهلهم وذويهم في عدم الخروج من البيت في أوقات لا يستحب فيها الخروج مثل الظهيرة، سواء للعب أو للمشي، وخصوصاً في أيام الحر صيفاً، أو في الليل حين يبسط الظلام أجنحته السوداء، ويفرض صمته المخيف، فتروى هذه الحكايات أو الأساطير لهذا الغرض».

- أشهر الكائنات الخرافية في الفولكلور الكويتي:

1. **السعلو:** «المؤنث سعلوة، والجمع سِعال، وتعرف عند العرب بالسعلاة، وقيل إنها الغول، تأكل الآدميين. والسعلو كائن ميتافيزيقي، معروف لدى كثير من الشعوب، وحياة السعلو عند الكويتيين تعد من المعتقدات الأسطورية، ومادة دسمة للقصص الأدبية الشعبية، وخاصة عند العجائز، ومن أوصاف السعلو أنه كث الشعر كالغوريلا، وأن لأنثى السعلو ثديين يتدليان حتى الركبتين، وعندما تشرع في المسير، تُلقي بهما على ظهرها، وتأكل الآدميين، وتمشط شعرها، ولها سبعة أعين، وفي النهار تتحول إلى شكل آدمي، للتودد لمن ترغب في اختطافه ليلاً». الموسوعة الكويتية المختصرة، حمد السعيدان.

ويقول يوسف القناعي في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت» عن السعلو: «هو بصفة شخص أسمر طويل، وله أنياب طويلة يختطف الأولاد الصغار ويأكلهم، وقد حدث سنة 1910م، عند معظم الناس فزع شديد من هذا السعلو، وسببه غرق صبي في البحر، لم يره أحد، فشاع أن السعلو أكله».

2. **أُم حمار:** «أصلها (أم رِجل حمار)، وهي امرأة خرافية، يقال لها: شاهوه، وهو تصغير لاسم شاهة، وهو اسم نسائي مؤنث شاه؛ أي ملك لدى الفرس والأفغان الهنود، وأم حِمار قيل إنها امرأة متوحشة، يصفها أهل جزيرة فيلكا بأنها امرأة لها حوافر وسيقان بقرة، وشعرها من الوبر الكثيف، ومنظرها يبعث الرعب في قلوب الناس، ويزعم الناس، أنها تظهر في الفجر، حيث يشاهدها السائقون خارج المدينة، ويفرون هرباً منها». الموسوعة الكويتية المختصرة.

3. **الطنطل:** «صفة تطلق على الشخص طويل القامة، والجمع طناطل، وقال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه عن الطنطل: يوصف بسواد الجسم، طويل الخطوة، بحيث إذا مشى يسمع لخطواته صوت، ويتمثل للسارين في الليل، ويلعب عليهم، ولكن الحيلة في دفعه أن يكون مع الساري مسلّة، فإذا رآه أحدهم صاح: هات المسلّة، فيهرب خوفاً. والطنطل قيل إنه شبح يظهر في الليل، وعندما تُخوّف الأمهات أبنائهن يذكرونهم بأن الطنطل سيخطف من يخرج في الليل». الموسوعة الكويتية المختصرة.

4. **حمارة القايلة:** «يعرفها العرب بحمارة القيظ؛ أي اشتداد حرارة القيظ، وتعرف بالجمرة، ولا يستحسن عرب الجزيرة السير في تلك الفترة من النهار، (ظهيرة الصيف الشديد)، لما يسببه من إصابة تُعرف بضربة الصيف، والحِمارة التي يقصدها العرب تعني الدرجة القصوى من الحرارة، ويقول الكويتيون لأطفالهم: لا تخرجوا من البيت في القيلولة؛ لأن حِمارة القايلة ستأخذكم أو تأكلكم. وذلك بقصد حملهم على البقاء في البيت وقت الظهيرة ويناموا؛ لأن الأولاد شغفوا باللعب، ولا يحسون بحرارة الشمس وأثرها. وحِمارة القايلة ترددها الأمهات في الصيف فقط، أما في الشتاء فلا يهم خروجهم». الموسوعة الكويتية المختصرة.

5. **بو دريا:** «من الخرافات البحرية التي عرفها الكويتيون قديماً، وهي شخصية خيالية، وقد ساد هذا الاعتقاد قديماً عند أهل البحر، و(بودريا) على هيئة إنسان نصفه على شكل سمكة تجوب البحار، ويسمع صياحه في الليل في البحر كأنة غريق، وعند الاقتراب منه لإنقاذه، يُمسك بالمنقذ، ويقوم بإغراقه في البحر». لمحات من تاريخ الكويت، يوسف التركي.

6. **الدعيدع:** «من الخرافات التي عرفها الكويتيون قديماً، وهي شخصية خيالية، وتظهر عندما يحل الظلام، ويُشاهد الدعيدع في الليل على شكل الحجر في الطريق، فإذا اقترب منه أحد انتقل إلى مكان آخر». لمحات من تاريخ الكويت.

7. **أُم السعف والليف:** «هي امرأة قبيحة الشكل، شعثاء الشعر، متسخة الوجه، ذات أجنحة من سعف النخيل، وتطير في السماء، وهي من الخرافات التي تُسرد للأطفال لتخويفهم، مما يساعد في سرعة نومهم، خوفاً من هجومها عليهم، عقاباً على سهرهم». الباحث في التراث الكويتي هاني العسعوسي، تقرير لوكالة الأنباء الكويتية (كونا).

8. **خبابة:** «هي امرأة مجهولة، قيل إنها تلبس ملابس فضفاضة، بقصد إخفاء الأطفال بين ثيابها، وتقوم الأمهات بتخويف الأطفال بأن (الخبابة) ستخطفهم إن لم يسمعوا كلام أُمهاتهم وأهليهم، خاصة إذا رفضوا النوم، أو خرجوا وقت الظهيرة أو الليل. وقيل إن (الخبابة) كناية عن امرأة مُخِيفة، وقيل إنها لحيوان وهمي، وقيل إنه اسم عفريت من الجن، وتخوف بها الأُمهات الأطفال: نام لا تييك خبابة». يوسف عبدالرحمن، باحث بالتراث الكويتي، من مقال له نُشر في جريدة الراي، بتاريخ الجمعة 22/4/2011.

- دورنا تجاه الحكايات الشعبية في الفولكلور الشعبي:

1. الحفاظ على هذا الإرث الفولكلوري عبر تدوينه كحكايات شعبية، ونشره وتوزيعه بالمجان، كمشروع أدبي تتحمل تكاليفه الدولة.
2. إدخال الفولكلور الشعبي ضمن المناهج الدراسية التي يتلقاها التلاميذ، وفق ترتيب خاص بالحكاية الشعبية، يبين أنواعها وحقائقها والخرافات التي بها، والدروس المستفادة منها.
3. توظيف الحكاية الشعبية كفولكلور يعتز به، من قِبل مؤسسات الدولة التي تعنى بالثقافة والإعلام.
4. إعداد البرامج التلفزيونية والإذاعية المتعلقة بالحكاية الشعبية.
5. استذكار تلك الحكايات الشعبية مع الأبناء والأحفاد وبقية أفراد الأسرة.

أسواق الشارقة القديمة

الجزء الثاني

علي العَبْدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات

بضائع السوق:

بالنسبة إلى بضائع السوق، فقد كانت تمثل كل ما يحتاج إليه الناس بمقياس ذلك الزمان، ففي ساحة السوق كانت الرّكاب، أي: الإبل، تتراصّ وهي محمّلة بالحطب الذي كان يستخدم للطبخ، وكذلك (الصخام/ الفحم)، وأيضاً (البرايد/ الحشائش) التي تستخدم علفاً للماشية، ولا ننسى الرطب الذي كان يُجلبُ صيفاً في (وخايف/ جمع وخيفة)، وهي حقائب صغيرة مصنوعة محليّاً من خوص النخل، وفي الشتاء تتوافر بعض الأغذية التي تنبت في الصحراء بعد سقوط الأمطار، كالفقع (الكمأة)، والطراثيث، والعرايين، والحمّاض، وكانت

هذه القوافل تأتي من بعض المناطق والواحات البعيدة كمنطقة الذيد وحتا ومساي وغيرها، ومن المشاهد التي كانت مألوفة في الساحة رفع أصحاب البضائع أصواتهم إعلاناً عن بضائعهم، وتجوّل الراغبين في الشراء بين تلك البضائع تفحّصاً فيها وطلباً لأجودها، فقد يكون بين الحطب المحزوم والمعروض للبيع حطبٌ (نخران)، أي: قد نخرته الرّمة والحشرات، فيتمّ تجنبه، كما يختارون من الفحم أجوده، وهو فحم شجر السّمر، وكان أصحاب تلك البضائع من البدو وغيرهم ينقلبون إلى مشترين بعد بيع بضائعهم، فيتجولون في بقية السوق، ويشترون ما يحتاجون إليه ممّا لا يتوافر في مناطقهم، وذلك كالأواني والأقمشة ونحوها، كما يشترون سمكاً ويُملّحونه دون شق بطنه، ويضعونه في وعاء مسفوف من خوص النخل، ويعودون به إلى مناطقهم، وهذه الطريقة في تجفيف السمك تُسمّى (مُدَفّا).

أمّا دكاكين السوق، فكثيراً ما تتنوّع بحسب اختصاصها، فنجد المختص ببيع البهارات ومطيّبات الطعام، مثل ملح (صَلافة)، سُمّي بذلك لصلافته وقساوة ملمسه، كما نجد بائع الأعشاب والأدوية الشعبية، ولديه يمكن الحصول على ماء الورد، وكذلك ماء اللقاح/ طلع النخل، الذي كان يرد في زجاجات خضراء كبيرة، وكثير من هذه السلع كان يردُ من بلاد فارس والهند والبحرين، وهناك المختص ببيع العيش (الأرز) والطحين الوارد من الهند وكراتشي، وهناك أيضاً بائع الغليون (التبغ) الذي كان يُزرع محليّاً في المناطق الشرقية، وهناك بائع السحّ أو التمر، وكان بعض الصيادين يأتي بنصيب يومه من السمك الطريّ الذي اصطاده ليعرضه للبيع مطروحاً على الأرض، وآخر يبيع بعض الأنواع المجففة من السمك كالعوال والكسيف واليوبل.

كما كان في السوق المختص ببيع أدوات البحر، كالأنايِر (جمع أنيَر وهو مرساة السفينة)، وحبال الكمبار التي تصنع إما من ليف شجر (الناريل) جوز الهند، أو من ليف النخل، كما يُباعُ لديه الصّل، وهو زيت يُستخرج من أكباد الأسماك، ويستعمل في طلاء السفن والأبواب القديمة، وهناك المختص بصناعة الخناجر، وكذلك البشوت، وقد اشتهرت تلك البشوت الشارقية في حقبةٍ من الزمن، وفي السوق أيضاً القصّابون الذين يتولّون أمرَ الذبائح التي يجلبها لهم الناس، لكنهم كانوا لا يبيعون اللحمَ بشكلٍ عام إلا في يوم الجمعة، لأنه يوم مخصوص من جهة، ولعدم توافر ما يحفظ اللحوم من برّادات ونحوها من جهة أخرى، هذا بالإضافة إلى أن الأهالي – عموماً – كانوا يفضلون السمك على الدوام، إلى ذلك كانت بعضُ النسوة يترزّقنَ في السوق ببيع ما خف حمله وخف ثمنه أيضاً من السلع، كاليقط (الإقط/ اللبن المجفف)، وبعض المكسرات كالبيذام (اللوز)، وضروس الخيل (الفستق)، وبعض الحلويات المصنوعة محليّاً، بالإضافة إلى الصراي والأثمد (الكحل)، والحناء، واللبان العربيّ، بالإضافة إلى أغراض مصنوعة من خوص النخيل، وذلك كالمَهفّة (مروحة يدوية)، والسرّود (سفرة طعام)، والمشبّ (قرص يُستعمل لتهوية النار وإيقادها)، والمكبّة (غطاء الطعام) وغير ذلك.

طريقة الدفع:

كانت الأسعار في الماضي مناسبة لعموم الناس، فبحسب أحد الرواة من كبار السن، كان ثمن الذبيحة نصف روبية (الروبية هي العملة المستعملة في ذلك الزمان)، وكان ثمن خيشة العيش (شوال الأرزّ) أقل من نصف روبية، وكانت قلة التمر بربع روبية، وكان الدفع إمّا حالاً – بتشديد اللام – أي: بحلول الشراء، أو دَيْناً، وفي هذه الحال يقوم البائع برسم خط على الحائط بوساطة قطعة فحم لتسجيل الدَّيْن، أو يقوم بعقد عقدةٍ من حبل لديه للدلالة على ذلك، وتزيد العُقدُ بزيادة الدّيْن، وكان بعضهم يُقدّم رهناً من عقدٍ نسائيّ أو مسباح (سُبحة) أو خاتم للبائع إلى أن يتمكن من سداد الدّين، أمّا بالنسبة إلى التجار فكانت طريقة البيع فيما بينهم والتسديد تسمّى (السبتيّة) نسبة إلى يوم السبت، ففي كل يوم سبت يتم تسديد جزءٍ من ثمن البضاعة إلى

أن يُستوفى تماماً، وهذه الطريقة تسمّى الآن البيع بالتقسيط، وأما إيجارات دكاكين السوق فكانت تُسمّى (المُشاهرَة)؛ لأنها كانت تُدفَع في أوّلِ كلّ شهرٍ عربيّ كما يُسمّونه، أي قَمَريّ.

وسائل الترفيه والمرافق الأخرى:

كان السوق مسرحاً حيّاً لكثير من المواقف اليوميّة التي كانت تزيد من وهج الحياة فيه، وذلك باللقاءات الحميمة، والمواقف الطريفة، وكان أكثر ذلك يتركز في المقاهي الشعبية الموجودة في السوق، والتي كانت أيضاً محط رحال مؤقت لبعض المسافرين من تجار وغيرهم، وكان يُقدّم بها الطعام والمشروبات الحارة، وفي زمنٍ لاحِق المشروبات الباردة كالناميلت، وهو مشروب شعبيّ منعش ظهر قبل المشروبات الباردة الحديثة، وإن أشهرَ تلك المقاهي (قهوة مرتضى)، التي مازالت موجودة إلى يومنا هذا في سوق العرصة، إلا أنه كان نشاطها في الماضي أكبر، حيث كان لها تنور كبير لصنع الخبز يقع في الجهة الشرقية منها، وقد اختفى اليوم، وفي الجهة الغربية من قهوة مرتضى كان يوجد مقهى أصغر يملكه رجل هندي، يُقدّم المشروبات الساخنة، وفي الساحة الخارجية كانت توجد صندقة (بناء خفيف مربع الشكل) تقدّم الشاي أيضاً، بالإضافة إلى ذلك كان هنالك عادة بيع الشاي المتنقل، وقد اشتهر بذلك أحد الأشخاص ويُدعى عبدالرحيم، حيث كان يحمل صينية عليها جمر وإبريق الشاي وسُكّر واستكانات (أكواب صغيرة)، ويقوم

بتقديم هذه الخدمة أثناء مروره على الناس في طول السوق وعرضه، وكذلك كان يوجد دكانٌ لبيع الحلوى المسقطية الشهيرة، يملكه رجل عماني اسمه تيمور، ومنذ النصف الأول من القرن العشرين شهد السوق بعض التطورات النوعية، فقد بُنِيَ فندقٌ فيه بمقاييس ذلك العصر، يُسمّى (مسافر خانه)، وكان السكن فيه بقيمة روبية ونصف، ومازال بنيانه الذي يتكون من طابقين موجوداً في الجهة الشمالية من السوق، ويُقال أيضاً إن السوق شهد وجود إحدى أوائل الصيدليات في الشارقة، وكان العامة يسمّونها (فار مسيد)، وهو النطق المحلي لكلمة (Pharmacy) الإنجليزية.

الأسواق الشعبية الأخرى:

ممّا ذكرَ سابقاً يظهر مدى تطور التفاعل التجاري والنشاط اليومي الذي كان يشهده سوق العرصة،

ونتيجة لذلك كان من الطبيعي أن يتمدّد السوق، وتتشعبَ نواحيه وسككه، وقد سُمّيَ طرفٌ كاملٌ من السوق بسوق المناظر؛ لأن عامة دكاكينه كانت تبيع المناظر/ جمع منظرة، وهي المرآة في كلام أهل الإمارات، ونجد في النهاية أن أسواقاً عدّة قد انتشرت وامتدّت شرقاً على طول شاطئ مدينة الشارقة، وقد سُمّي بعضها بالعرصة كذلك، إنما بتخصيص يقتضيه المكان، فهناك عرصة الفريج الشرقي، وتسمّى عرصة عيال الشيوخ، وهم ماجد بن صقر، ومحمد بن صقر، وسلطان بن صقر، وذلك لوجود بيوتهم في تلك الناحية، وهناك عرصة الشوامس، نسبة إلى بعض العوائل من قبيلة آل بوشامس التي كانت بيوتها تُحيط بهذه العرصة أو الساحة، منهم ماجد الشامسي، وعبدالله الشامسي، وعلى الطرف الشمالي الشرقي من سوق العرصة، وعلى امتداد ساحل البحر نشأ سوق صقر، وهو سوق امتدّت إليه يدُ الحداثة، فنجد فيه بعض أوائل المباني الحديثة في الشارقة، وكانت دكاكينه تعرض بعض المنتوجات الحديثة نسبيّاً في ذلك الزمان، ولاحقاً ضمّ هذا السوق دائرة البلدية، وبعض أوائل البنوك التي مازال بناؤها قائماً فيه إلى يومنا هذا، كالبنك البريطاني للشرق الأوسط، لكنه تحوّل إلى محال تجارية، ويحدّ سوق صقر من خلفه مسجد الدّليل – بتخفيف الياء – ومستشفى سارة هاوسمان (الأمريكي)، وبيت عيسى بن عبداللطيف السركال، وقد شهد هذا السوق نشاطاً كبيراً في السنوات الماضية، يتمثل في إعادة الاكتشاف والترميم، وقد اكتُشفت مدبسة كبيرة وكاملة في هذ السوق، ومن سوق صقر امتدّت النشاطات التجارية شرقاً أيضاً؛ لكي تكوّن سوق الشويهيين، نسبة إلى عشيرة الشويهي التي كان أفرادها يقيمون في تلك المنطقة، ويحدّ هذا السوق من الخلف بعض البيوت والمساكن القديمة انتهاءً ببري ميلّي (برج مجلّي) الذي هُدم مع بداية السبعينيّات، وهناك أيضاً سوق الشناصيّة، نسبةً إلى قوم من منطقة شناص في عمان، وكذلك سوق التمر، ثم يأتي آخر الأسواق من ناحية الشرق، وهو سوق السمك.

وقد شهدت السبعينيات بداية تشييد الأسواق والمحال الحديثة، وذلك حول ساحة الرّولة، وسوق بن كامل، بالإضافة إلى السوق الذي أطلق عليه (سوق البلديّة)، وكان أحدَ الأسواق في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، وقد هُدم هذا السوق منذ سنوات، فيما استمرّ تطور بناء الأسواق إلى ما نراه في يومنا هذا، إلا أن سِحر السوق القديم مازال يُخلبُ ألباب كثير من محبّي الماضي، والسلع التقليدية، ووحي التراث وقيَمِه، سواءٌ كانوا من المواطنين أم من الأجانب الراغبين في التعرّف من جديد إلى صور من الحياة افتقدوها في ظل مظاهر المدنية الحديثة، ومن هذا المنطلق جَرَت عملية ترميم سوق العرصة التاريخيّ، بتوجيهٍ كريم من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، ليظلّ رمزاً لماضي التجارة في الشارقة، ودليلاً على موقعها المتميّز في هذا السياق، ومتنفساً للراغبين في الانتعاش برائحة الماضي الجميل.

فـن العرضـة

فـن العرضـة أساسـه مـن الجزيـرة العربيـة؛ مـن المملكـة العربيـة السـعودية، وتحديـداً مـن نجـد، ومـن ثـم خـرج مـن أهـل الجزيـرة العربيـة وتـوزع علـى دول الخليـج العربـي، حيـث أخـذت كل دولـة هـذا الفـن، وأدتـه حسـب بيئتهـا، كمـا تـم تغييـر مسـمّاه إلـى اسـم آخـر حسـب كل منطقـة.

علي العشر
خبير تراث فني

في الإمـارات مثلاً، تم تبديل اسـم هـذا الفن في بعض المناطق، فسـمّي العيالـة، وفي المناطـق البرية الرزفة، وعنـد الشـحوح رزيـف الشـحوح، وفي منطقـة العين سـمي عيالـة العـين، حيث إنها شـبيهة جـداً بالعيالة النجدية، وفي الكويت سـمي الحدوة، وذلك نسـبة إلى حـدوة الحصـان، وفي البحريـن وبعض الدول سـمي الرزيف.

معنى العرضة:

معناهـا إظهـار مـؤدي هـذا الفـن الحماسـة والقوة والشـجاعة، وكأنهـم في حـرب، وأيضـاً ظهور شـكل الحـزن على ملامحهـم إذا كانوا مهزومـين، وبالعكس ظهور شـكل الفرح عليهـم إذا كانـوا منتصرين، وهذا يوضـح أيضـاً من خـلال القصائـد التي تنشـر أثناء أداء هـذا الفن.

كيف يؤدى هذا الفن؟

ينقسم الحاضرون إلى مجموعتين في صفين متقابلين، بحيـث يكون كل صف من عشـرة إلى خمسـة عشـر شـخصاً، ويكـون أمامهم شـخص متحـرك من صف إلى صف، يسـمى الشـاعر، حيث يبدأ بغناء القصائد الملحنـة على ألحـان مركبة على القصائـد التي تغنى، وتتوسـطهم أيضاً مجموعـة الإيقاعيـين، وهم عازفو الإيقـاع المسـتخدم في هـذا الفن، حيـث يقتصر هذا الفـن علـى طبـل الـرأس، أو طبـل اللعـوب، أو طبل الكاسـر، وشـخصان أو ثلاثة على التخامير، وخمسة علـى الطيران أو الإسـماعات، وعازفَيْن على الطوس.

ومـن خـلال أداء الفن توجـد مجموعة أخرى تسـمى اليويلـة، حيـث إنهـم يجولـون داخـل الميـدان، حيث يقومـون بعمـل حـركات مهاريـة، إمـا بالبنـادق أو بالسـيوف أو بعصـي الخيـزران، وأحياناً يتـم إدخال فتيـات صغيـرات السـنّ، مـن ذوات الشـعر الطويل، فيتمايلن في وسـط الميدان بشـعرهن الطويل، وتسمى هـذه المجموعة النعاشـات.

ومن قصائد العرضة ما يلي:

1- نحمد الله جت على ما تمنى
من ولي العرش جزل الوهايب
خبـر الي طـامع في وطنـا
دونها نثني الياجت طلايب.

2- الله البوم يا والي البصيـرة
يـا إلـه السـما منشي الغمـام
يا هل الحزم يا نعم الظهيرة
إن لفاكم من البـاشـا عـلام
ادعوا الله ولا تدعون غيره
واعرفوا ما من الميتة سلام.

3- الذيب يا يمه عوى
والجبـل مـربـاه
شبعان يا يمه ويعوي
ما دري وش نوحـاه
خلي على الفرقا نوى
والجبـل مـربـاه
الي كوى قلبي كوي
مـا دري وش نحـاه.

هذه الصفحة تتناول حياة الناس في الإمارات قديماً... أعمالهم وطرق معيشتهم، وعاداتهم ومعتقداتهم وحكاياتهم، وما يواجهونه من مواقف وطرائف في حياتهم اليومية، من خلال ما رووه شفاهة، أو في المقابلات التي أجريت معهم، ونشرت في الدوريات والكتب.

حكاية صانع الفخار[1]

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي

تعدّ صناعة الفخار من الصناعات التقليدية التي عرفها أبناء الإمارات منذ قرون بعيدة، وتفننوا وأبدعوا في صناعتها، وهي من الحرف الرجالية، ويشارك النساء والأطفال أحياناً في بعض مراحل الإنتاج، ويتفق الرواة على أن هذه الصناعة شكلت مصدر دخل مهم لكثير من الأسر التي تعمل في هذه المهنة، وبعضها تفرغ للعمل بها؛ لتكون المصدر الوحيد للدخل.

انتشرت هذه الصناعة في العديد من المواقع القديمة، خاصة المناطق الجبلية في الإمارات، لتوفر المواد الخام اللازمة لصناعتها، ومن أشهرها منطقة شمل التي تقع شمال غرب إمارة رأس الخيمة، كذلك عرفت مناطق وادي حجيل ومساي في وثوبان ومناطق أخرى في الفجيرة ورأس الخيمة، حيث مازالت «المحارق» تعد من أبرز المعالم التاريخية في حياة سكان تلك المناطق، وتنتج محارق كميات كبيرة جداً من الأنواع المختلفة من الفخاريات التي تسد حاجات السوق المحلية، ويصدر الجزء الأكبر منها إلى أسواق السعودية والكويت والبحرين وقطر وإيران وغيرها من الدول المجاورة، ودامت هذه الصناعة لمئات السنين، وتوارثتها الأجيال حيث توقفت تقريباً في منتصف التسعينيات.

من أهم المصنوعات الفخارية التي تنتج في هذه المناطق: الحِب أو الصلاحي وهو آنية فخارية لتبريد المياه المخصصة للشرب، وحجمه كبير، يستوعب جالونات عدة من المياه، والبج (البق) ويستخدم كبراد لماء الشرب، والمدخن، ويستخدم للتدخين، حيث يوضع بداخله البخور، والخرس الذي يستخدم لتخزين الماء وتبريده، كما يستخدم في تخزين التمر، والمسوكة أو المصفرة، وتستعمل لسحق بعض أنواع الأدوية، والبرمة التي توضع تحت الحب الكبير

لتلقي المياه التي يرشحها، كما أن لها استخداماً آخر، إذ يوضع فيها الحليب للتخمير، ويتحول إلى لبن رائب، والكروة أو الشربة التي تخصص لتبريد المياه المخصصة للشرب في فصل الصيف وهي كروية الشكل من الأسفل، ولها عنق طويل، وبين العنق والكرة توجد قطعة فخارية هي امتداد لجدار الكروة لمنع دخول الحشرات إلى الماء، والتنور وهو الفرن الذي يستخدم لطهي الطعام، واليحلة وهي عبارة عن زير الماء الصغير الذي يوضع أسفل «الحب» الكبير، فتتلقى قطرات الماء التي تتسرب، والتي تكون نقية جداً، وأكثر برودة من المياه الموجودة في «الحب»، واليحلة، وهي كروية الشكل، ولها رقبة قصيرة، وينطقها بعضهم «جحلة»، وجمعها «يحال أو جحال»، والسكاوية، وهي آنية تستعمل في حفظ ماء الشرب، والمقلاة، وتستعمل في إعداد القهوة، ويحمل بوساطتها الجمر عن النار، وميلح، وهو إناء يوضع فيه ماء للدجاج أو الطيور.

تعتمد صناعة الفخار على مادة التراب «الطين» التي يتم جمعها من الوديان ومرتفعات الجبال، ويأتي الطين على ثلاثة أنواع: طين «الدحس»،

وطين «اليهموري» الذي يميل لونه إلى الاخضرار، ويؤتى به من المغارة، والاسم يعني عملية الخروج والدخول من وإلى المغارة، ثم طين «صنع»، ويميل لونه للاحمرار، وهو النوع القوي الذي يعمل على تماسك النوعين الآخرين معاً. ويعدّ الطقس المناسب لهذه الصناعة هو فصول الصيف والربيع والخريف، وتقل صناعته في فصل الشتاء، حيث إن سقوط الأمطار يعيق عملية جمع الطين، إضافة إلى تأثيره في جودة الأواني المصنوعة، فإذا تعرض الطين للماء فإنه يصبح غير صالح؛ لهذا يعدّ فصل الصيف من أفضل الفصول، حيث إن جفاف الجو والحرارة المرتفعة يساعدان على سرعة تماسك الأواني حديثة الصنع، قبل أن توضع في الأفران.

يطلق على الشخص الذي يقوم بعملية جمع الطين (اللهباب)، وهو نفسه الذي يقوم بجمع الوقود الخاص بالمحرقة، وهي الفرن التقليدي الذي يتم تشغيله بالحطب، المحرقة عبارة عن حفرة كبيرة متوسطة العمق، تبنى جدرانها من الداخل بالحجارة والطين؛ لتبقى صلبة وقوية تقاوم عوامل الطبيعة مثل العواصف والأمطار وغيرها، ويعمل عليها شخصان أو ثلاثة، وقد تكون الأخيرة امرأة، وفي الغالب يكونون من أفراد العائلة نفسها.

يستيقظ (اللهباب) كما يقول الرواة صباح كل يوم، ويتناول حبات من التمر، وينطلق (حافياً) من دون نعال إلى الصحراء، يجوب أطرافها القريبة والبعيدة بحثاً عن أكبر كمية من شجرة (الأصبغ)، ليعود بها ظهراً أو بعد الظهر إلى حيث المحرقة، لا يستريح إلا قليلاً، ليتناول جرعة من الماء فقط، ثم ينطلق من جديد متوجهاً ناحية الجبال هذه المرة، وعلى رأسه وعاء كبير يملؤه بالطين، أو يقوم باستخدام الدواب في حمله مثل الحمير والجمال، ويتم وضع الطين في (الجفير) أو في (الجواني)، وهي (الخيش)، ويقوم (اللهباب) بتكرار هذه الجولة مرات عدة.

بعد تجميع التراب (الطين) المستخرج من الجبال،

يقوم «الصانع» بإخضاعه لعملية التنعيم أو الدق بوساطة عصا (القصار)، بعد ذلك تتم تنقيته من الشوائب بوساطة أداة تسمى (المشخال) أو (المنخلة)، بعد الانتهاء من تنقيته تفرز أنواع الطين، ويوضع كل نوع منها في مكان خاص، يقوم الصانع بعد ذلك بأخذ كتلة من طينة الصلصال الخليط من الطين الأحمر والأخضر والأصفر، حسب نسب معينة، ويقوم بعجنها بالماء العذب داخل بركة دائرية الشكل معدة خصيصاً لذلك، نصف قطرها متر ونصف المتر، ثم يقوم العمال بدهسه ليتحول بعدها إلى صلصال لزج متماسك، ثم يتم تعريضه لعملية «تنشيف» أو تحميص بسيط، ثم يقوم الصانع بوضعه

فوق أداة من الخشب يطلق عليها (دولاب التصنيع) أو (العجلة) التي تدور مع دوران دولاب سفلي تحركه رجل الصانع، ومع دوران الدولاب تدور الطينة، ويبدأ الصانع باستخدام أصابع يديه وراحة كفه لتشكيل الطينة بدقة وتركيز كبيرين؛ لتأخذ شكل الإناء المراد تصنيعه.

تعتمد عملية التصنيع على مهارة «الصانع» وخبرته الطويلة التي تنعكس على مرونة يديه في الحركة، ودقته في القياسات، ولمسته الفنية التي تعطي لكل قطعة مذاقاً وروحاً خاصة بها.

بعد انتهاء «الصانع» من تشكيل كميات كبيرة من القطع الفخارية من نوع واحد أو متعددة الأنواع، تتعرض للتنشيف الطبيعي مجدداً، ومن ثم تتحول إلى «المحرقة»، التي تتم فيها المرحلة النهائية لأنواع الصناعات الفخارية المختلفة الأغراض والأشكال والأحكام، حيث يتم صفها في قمة المحرقة فوق بعضها دفعة وحدة، فيما يتم إشعال النيران من تحت عازل حديدي، يعمل على تسخين الفخاريات بدرجة كبيرة، حتى تخرج في صور وأشكال عدة. وتزود المحرقة باستمرار بالوقود اللازم، وهو عادة مكون من جذوع وأغصان وأوراق شجرة (الأصبغ) القابلة للاشتعال السريع والكثيف، ثم تترك القطع

لساعات عدة حتى يحمرّ الفخار ليخرج بعد ذلك من المحرقة، وعادة يكون إنتاج المحرقة الواحدة لكميات من الصناعات المختلفة الأنواع (200 حبة من المصنوعات الصغيرة)، وأقل للأحجام الكبيرة، كان إنتاج هذه الكمية يستغرق ما بين 15 و20 يوماً، وتمتد أحياناً إلى شهر.

كذلك توجد طريقة أخرى لتجفيفها، وذلك بوضع القطع في مكان مظلل لمدة أسبوعين حتى تجف وتتماسك، ثم تطلى بالألوان الزاهية، إن تطلَّب الأمر ذلك، وتستغرق عملية صنع الأواني حسب حجمها من أربع إلى ثماني ساعات، أما عملية البناء؛ أي وضع الأواني في التنور والأفران، وإشعال النار حتى استخراجها، فتستغرق أكثر من عشرة أيام. بعد صنع الأواني تستخرج من الفرن، حيث تقوم النساء بتلوين الآنية ونقشها برسومات وخطوط هندسية مستخدمات «الآرا» أو مادة «المغر» ذات اللون الأحمر. ويطلق على النقوش (مشق)، وعلى النساء اللاتي يقمن بالنقش (النَّقّاشات)، فتغدو المصنوعات جاهزة للاستخدام، فمنها ما يكون مبخرة أو حِب ماء، أو تنور خبز أو آنية طعام، وتقوم المرأة كذلك بـ(التوليف) و(التشطيب) قبل دخول الأواني للفرن (المحرقة)، ونقل الأواني التي ينتهين من صناعتها لتوضع في الظل حتى تجف، ويساعد في هذه العملية الأطفال، حيث يقومون بالأعمال البسيطة مثل التلوين والتشطيب.

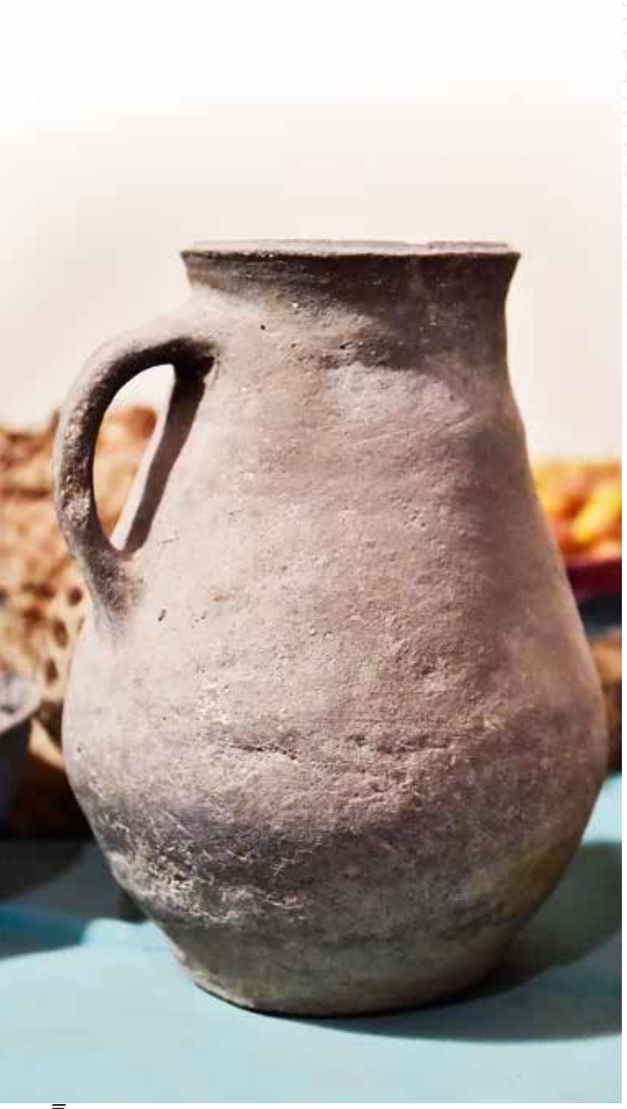

1- عبدالله عبدالرّحمن، الإمارات في ذاكرة أبنائها... الجزء الثاني: الحياة الاقتصادية، (هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة ـ دار الكتب الوطنية)، أبوظبي، ط. 1، 2013، ص. 478-481؛ علي أحمد المغني، الحرف والصناعات التقليدية في دولة الإمارات، (إصدارات معهد الشارقة للتراث)، الشارقة، 2020. ص. 73-76؛ مريم جمعة الكيالي، دراسات في تراث الإمارات، (وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع)، الإمارات العربية المتحدة، 2008، ص. 70-79؛ وليد الشيخ، «صناعة الطين في الإمارات.. بين مطرقة السوق وسندان الإهمال»، مجلة تراث، ع. 190 (أغسطس 2015)، ص34-41.

جويهر الصايغ

في مغاصات العشق

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

لم يستقر حال جويهر بن عبود الصايغ بعد وفاة سيده الشيخ محمد حمد بن رحمة الشامسي، في مناطق الباطنة، إلى أن توجّه إلى أبوظبي، وأسس محله لصياغة الذهب والفضة، وعلى الرغم من أنه رأى الملاذ الآمن في أبوظبي، إلا أن أحداثاً وجدانية كثيرة قلبت حاله وحال قصائده، التي تأنقت بالحب والغزل.

عندما تعدّى جويهر منتصف الثلاثين من العمر، ووجد نفسه بعيداً عن ديار سيده الذي توفاه الله، صار يسأل نفسه عن حقه في الحب والحياة منذ أن نبض قلبه منذ سنين طويلة لفتاة تحت الشجرة في وادي «بوكربة»، وهو في أول سنين المراهقة، فقد نبض قلبه مؤخراً أيضاً لرؤية فتاة أخرى في جزيرة «أبوظبي»؛ لذا أصبح يتساءل كيف يستطيع أن يتقدّم إلى خطبتها، والأعراف لا تتقبل أن يزوجوها لشاب أسمر البشرة؛ لذا كيف للعمر أن يمضي دون أن يشعر بنبض قلبه، وحلم عيشه في رغد مع من يحب، إلى متى سيبقى هكذا دون عائلة ودون محبوب ودون ملح الأيام، وكم من حسناء جميلة تمر على هذا القلب، وهو يغض الطرف خائفاً أن يجرفه الحب إلى منحدر الهلاك! وهل الانتظار الطويل والليالي الطويلة ستنتهي بوجه صبوحي كوجه هذه الفتاة الجميلة التي أصبحت لا تخفي إعجابها بجويهر الشاعر المعروف؟!

لم تكن هذه الأفكار كبقية الأفكار العابرة، بل كانت هموماً تؤرق ليله، وتزعج نهاره، حتى أسقطت جسد جويهر القوي ضعيفاً مريضاً لا يقوى حتى على الوقوف، هنا لاحظ أصدقاء جويهر حالته، وأخذوه إلى المطوع كي يداويه، وحين سأله المطوع عن حاله، أنشد يقول:

كوس المهب أسهرني ... ما انلام لو ونّيت
كمّ ريمٍ سحرني ... يا مْطوّع لو دريت
قلت الهوى ودّرني ... واثره مْشيّد بيت
وهذاك اللي شركّني ... في الحمد ولا قريت
عالجتني بالظنّي ... ما يفيد لو داويت
عوقي صغار السنّي ... لي نطقهن تثبيت
برضاي تملكنّي ... و بما بغن سوّيت
ولو أنا بير اوردنّي ... وكل ما انتزح يمّيت
ولو أنا صعب قادنّي ... على الكايد مشيت
ولو أنا عودٍ رقنّي ... وكلما لنت احتنيت
ولو أنا شْناف شْبكنّي ... وعلى الصّدوغ أوميت
ولو أنا كْحال سْحننّي ... وعلى الهدب قرّيت
ولو مشخص شرنّي ... وعلى الجيد التويت
ولو أنا ثوب البسنّي ... وعلى النّهد أضفيت
ولو أنا خْضاب نْقشنّي ... وعلى الكفوف ازهيت
ولو أنا ختم حطنّي ... وعلى الصّبوع الجيت
ولو أنا حقب قاسنّي ... وعلى المضمر لقيت

حينما علمت الفتاة بمرض جويهر من الجيران، تعمدت أن تقطع قلادتها (المرّية)، وأبلغت جدتها بذلك، فوعدتها أن تأخذها لزيارة محل الصائغ عما قريب بعد أن يتشافى جويهر، وبعد أيام قليلة عاد جويهر صباحاً إلى محله، وهو بالكاد يصلب عوده من ثقل الحزن الذي كان يحمله على ظهره، وعندما لاحظ اقتراب الجدة تغيّر حاله على الفور، ولم يكن يحسب أنها قادمة إليه، وحينما دخلتا المحل، أصبحت العجوز تحدّث جويهر عن المرّية المقطوعة، فسألها عن صاحبة المرية قبل أن يشرع بعمل اللازم، وهو يحس أن المرية ليست للعجوز، وإنما

لحفيدتها، وكم كانت المفاجأة سعيدة لجويهر، حينما علم أنه سيعمل على تصليح مرية الفتاة، فاقترح أن يضيف إلى المرية تفروقة خاصة لتصبح مرية (أم شناف)، أو قطعة مربعة تسمى «الطبلة»؛ لتضع فيها حرزاً تدرأ عنها الحسد. هنا قالت العجوز إنها ستأتي بالفتاة مساء لتختار بنفسها ما تريد. كان ساعات الانتظار طويلة جداً، ولاحظ كل من في السوق أن جويهر تغيّر حاله فجأة، وأصبحت الأرض لا تحمله من السعادة، دون أن يعلموا سبباً لهذا التحوّل المفاجئ. وفي المساء عادت العجوز بصحبة الفتاة إلى المحل وكانت الفتاة قابعة في السواد لا يشاهد منها إلا بياض كفيها، كانت هذه السوادة أعظم من كل الجمال الذي يشع نوراً في الكون عند جويهر، كانت العجوز تتحدث إليه وهو يعمل، بعد أن اختارت الفتاة تفروقة الطبلة، والفتاة تتفحص المشغولات من تحت الغشوة دون أن يستطيع جويهر مشاهدتها، وعندما شارف جويهر على الانتهاء سقطت غشوة الفتاة، وبان جمال وجهها لجويهر، ولكنها لحّفت وجهها بالغشوة فوراً، وتناولت المرية وقامت بقياسها من تحت العباءة شاكرة إياه، وخارجة من المحل نحو البيت. هنا شك بعض المتربصين في أن جويهر قد سقط في حب هذه الفتاة؛ لأنه خرج من محله وأصبح ينظر إليهما وهما تبتعدان شيئاً فشيئاً عن محله؛ فقال أحد المتربصين بيتين من الشعر، ليرى ماذا ستكون ردة فعل جويهر:

يا زين عند الصايغ شفتك بغير لحاف
ومن صار بدّه بايغ لو هو طرش نكّاف

هنا علم جويهر أن هناك من كان يختلس النظر إليهم، ولاحظ كل ما جرى في محله؛ لذا رد على القصيدة ليبعد الشبهات عنه وعن فتاة أحلامه قائلاً:

صوغتك يت يا صايغ والحكّم للعرّاف
لي يظهر في المرايغ لزم ترى ينشاف
عقلٍ بيوقع زايغ ما يْسَير سير اتقاف
لو بايروغ الرايغ وش يلحق الخطاف

أصبحت نشوة جويهر تنطفئ يوماً بعد يوم؛ لأنه أصبح يعرف أن العودة لزيارة محل الصائغ قد لا تكون خلال أسابيع قليلة، فنادراً ما تحتاج النساء إلى الشراء أو إصلاح حليّهن، لذا كان جويهر يذهب إلى حارة معشوقته صباحاً ويقف في اتجاهات مختلفة، لعل وعسى أن تعبر معشوقته في هذا المسير، وقد لاحظت امرأة من جيران العجوز تكرار وقوف جويهر في الحارة، فسألته عن السبب، هنا علم جويهر أن وقوفه أصبح مصدر شبهة له ولمعشوقته، فتوقف عن ذلك، وهو يجيب الجارة في قرارة نفسه[1]:

لو لمتني يا لايم لوم بلا مصروف
قاعد و مرٍّ قايم وارجّو المحب يطوف
كنّي لابس حرايم بيت الكعبة واطوف
قلبٍ يسومه سايم ما حدٍّ به عروف
شروى قِدر الولايم عند النار مْحذوف
هبّ الغربي بْنسايم يصلب ومرّ يْروف
في كلّ صبحٍ دايم على عدد ما اشوف
أتجلّد بالعزايم وادري بْحالي تلوف
يوم يغضي كل نايم كنّي دريك الخوف
ودمع عيوني همايم مثل الذي ماغوف
بي من يزهو بْوشايم بوقصّةٍ و زْلوف
غضّ تْهوده زمايم بالوقم قْمط كْفوف
وله وجناتٍ نعايم بْروق سرت فِ قنوف
من حالي إلا الذمايم باقي ولا معروف
لو خذْ مني علايم صار بْحالي عطوف
وإلّا اتحمّل عظايم يوم الحشر ووقوف

لم تعد هناك وسيلة لجويهر باقية سوى أن يخرج في ظلام الليل عابراً عند بيت معشوقته، بلا أمل أن يراها، فالظلام الدامس كفيل بأن يخبئه من الناس، وأن يستر على معشوقته، فكان يعبر كل ليلة ذهاباً وإياباً بجانب البيت لأسابيع، ليحس بتسارع نبضات قلبه عندما يقترب من باب منزلها، كان يأنس كثيراً لهذه النبضات، إذ كانت مصدر راحته واستقراره قبل أن يهجع للنوم. وحين يخلد جويهر إلى النوم تستيقظ الأحلام، فيرى تلك المعشوقة التي تشع أنوارها من خلف الباب، ويتمنى ألا يستيقظ من هذا الحلم أبداً، لأنه لا يدري ماذا تخبئ له الأيام، وما هي العقبات التي سيواجهها كي يحقق هذا الحلم البسيط الذي تستكثره الأعراف عليه، وفي أحد أحلامه كان جويهر أكثر جرأة وتمرّداً على الواقع، وحينما استيقظ أفرغ هذا الحلم في أبيات خالدة:

وايقت له مْن البابي وإيْلا هْدبه مزفون
عقصه جناح غْرابي أسمر و جاني لون
مازيدهن بيبيابي غير مِ الزّباد قْرون
ضايغ على الاكعابي ما مْلته لعيون
لو بالجهالى مابي ما باتوا يلعبون
كبيت تحت ثْيابي يا الناس لو تدرون
شروى الرّخيص أرمابي أتليّا بالسّكون
لو بالكلام ينابي كان الوزا بيهون
صوّبني واستصابي ما له عرب ينهون

نعم ليس نيل المطالب بالتمنّي، ويجب أن تؤخذ غلاباً، هنا تجرّأ جويهر أكثر من ذي قبل، وفي الليلة التالية كان يمشي بجانب بيت معشوقته، ويسمع لقلبه الذي كان يريده أن يصدر إشارة بصوته، لعل معشوقته تسمع صوته وتبادله الإشارة، لكن في ذلك كانت مخاطرة كبيرة، فالبيوت المبنية من الدعون (سعف النخيل) لا تعزل الأصوات، وقد يُسمع صوت جويهر من الجيران بكل سهولة، وهذا ما حدث بالضبط حيث سمعت الجارة التي لامت جويهر على وقوفه صوتاً وهمّت خارجة من البيت، وعرفت جويهر من طوله، على الرغم من الظلام الذي يلف الأرجاء في تلك الليلة.

وفي صباح اليوم التالي، التقت الجارة جويهر في محله، وقالت له إنها تعلم لما يأتي إلى حارتهم كل ليلة، وأنه يعشق الفتاة، وأن الفتاة أيضاً متعلّقة به، هنا ضعف جويهر أمامها، ولم يتفوّه ببنت شفة، فأكملت أنها تستطيع أن تراقب لهما الطريق، وأن تسهل لهما لقاء في جنح الظلام، في مقابل أن يساعدها جويهر ببعض المال. وافق جويهر على مضض، ولكنه سرعان ما ندم على هذا التسرّع، ولم يستطع ليلتها النوم، وبدلاً من أن يفرح بلقاء قريب مع معشوقته، إلا أنه أنشد مخاطباً قلبه الذي عاهده بإخفاء هذا السر حتى آخر لحظة من حياته:

يا سعيد خف السدّي ولا تخرّب المعتاد
لي عدت تهوى حدّي وهوه غالي هباد
انصه بغيْر مجدّي يوم تْهجع لعباد
يوم الدّجى مسودّي والشّوف ما ينحاد
وان ريت عنده حدّي خلّ مْسيرك قصاد
ميّح عتَه وانضدٍّ ولا تمشِ باعتناد
ولي من زقرك تْردى رجّع وقل له كاد
عن حاسدٍ ومضدّي ناسٍ عليك أوغاد
ياخذ منْك ويودّي الموشي الحسّاد
لك باللسان مْودّي والقلب فيه احقاد

اتفقت الجارة مع جويهر على أن يأتي في آخر ساعات الليل؛ لأنها ستطلب من معشوقته أن تستيقظ قبل جدها وجدتها عادة لتحضر لهما الإفطار مع صلاة الفجر، وقبلها يستطيع جويهر أن يراها إلى أن يبزغ الفجر، وتبدأ معشوقته استعداداتها لبدء اليوم، وبالفعل حضر جويهر في الموعد، وكانت ليلة مقمرة بقمرٍ من فضة، لم يكن هذا القمر في كبد السماء، وإنما خلف الدعون، تنتظر أن يقترب جويهر، وحين اقترب ورأته في غاية الارتباك، سألته أن يسمعها آخر ما قال؛ لأنه انقطع عن المرور بجانب البيت ليلة البارحة لأول مرة، ولابد أن قصيدة أشغلته، هنا هدأ جويهر، ولم يذكر لها قصيدة «يا سعيد خف السدّي»، وإنما ارتجل قصيدته فوراً وهمس إليها:

البارحة مشغوبى وارضّف الونّات
يا سهيليّ الجنوبي سوّيت لي طْورات
بك يرقد الماهوبي والّا الشفق مَ يْبات
يبات له لاهوبي كلما ذكر ما فات
خَطْرٍ علي آذوبي في نومي والوعاة
على نعيم الثوبي أتسقّى بحْسرات
ما نلته المطلوبي وتقزّرت الأوقات

مرت ثلاث ليال وعاد جويهر يسأل جارتها قبل أن يذهب ليجلس إلى جانب العريش بالقرب من غرفتها، يتجاذب معها أطراف الحديث، والجارة تطمئنه كي يأتي كل ليلة، ولكن جويهر لم يكن يريد أن يخاطر بسمعة معشوقته وخائفاً من وقوع ما يمسها، فهو لايزال غير مرتاح للجارة التي لا تفعل ما تفعله إلا لأجل المال، وطلب من معشوقته أن تبحث عن طريقة بديلة؛ كي لا يكون سرّها في يد جارتها، وبالفعل اتفقا على أن يلتقيا قبل فجر يوم الاثنين من نهاية كل شهر قمري، إلى أن يفتح الله لهما أملاً في زواجهما الذي لم يكن سهلاً أبداً، وأما الجارة فإن جويهر سيأتي للمرة الأخيرة بعد أيام عدة، ويقنعها بأن هذا آخر لقاء بينه وبين معشوقته؛ لأنهما لا يستطيعان الاستمرار في الخفاء وتغافل الأهل لأكثر من ذلك.

أحست الجارة بانقطاع جويهر الطويل نسبياً، وأفشت سرّه لبعض المتربصين به، طمعاً في مالهم، ولكنهم طلبوا منها إخبارهم بعودته للقاء معشوقته، وفي الليلة المتفقة جاء جويهر لآخر لقاء هيأت له الجارة، وحينما بدأ يقترب من المكان المعتاد للقائها، أحس بوجود شخص، فانصرف، وعاد ليتأكد بعد طلوع الشمس فرأى آثار أقدام، هنا تأكد جويهر أنه غدر به، وأنه قد كان سيحدث ما لا يحمد عقباه، فأنشد قائلاً في ذلك:

حطّيت حيّة موسى في اثباني وتواغلتني بْناب
يا ذا القلب الطموسا باضماني ما يندخل ذا الباب
باتوا عليه جْلوسا عدواني بايمانيّة الصحاب
لو ماسمعت حْسوسا بآذاني حسّ الخفا يرتاب
مِ الوقت خذت دْروسا ومتغاني واعرف وزن لانجاب
وعن موضعٍ ملموسا بايماني أمنع نفسي وأهاب
والبذر لي بهِ سوسا بالعاني لو ينزرع ما طاب
ومن قاري القاموسا مَ ترانِي عندي نظر وحساب
وخذْ عارضي بالموسى يا فلاني كان أصحب الخيّاب
وان حل حال تحوسا في زْماني أخذت بالاسباب

أصبح جويهر مرتبطاً بليلة واحدة في الشهر، ولقاء سريع خاطف لا تتجاوز لحظات قليلة، يسألها عن حالها، ويمضي، ولكن بات الموعد بعيداً جداً، والانتظار ممل ومتعب، لكن ذلك كان هو الحل الوحيد، وفي الشهر الفاصل بين الموعد والآخر قد تحدث وتستجد أشياء كثيرة، لا يستطيع أن يؤجلها، منتظراً الموعد، هذا ما كان جويهر يفكر فيه، وبالذات حينما اقترب موسم الغوص، وقرر جويهر الاستفادة من الموسم بزيادة دخله، من خلال مشاركته في رحلة الغوص، لعل ذلك يزيد في مدخوله من المال، بدلاً من أن ينقل السكان إلى مقيظهم في واحات العين بأجر من الغاصة يدفعون إليه بعد عودتهم من رحلة الغوص، فالمال الوفير إن جناه جويهر قد يقرب له حلمه في الزواج من معشوقته، ويسكت أفواه الحساد والحاقدين الذين يرون في لونه مدعاة للتعذر والرفض. وهو أيضاً فرصة للتعلّم في البحر، والتصبّر عن ابتعاد معشوقته التي ستخرج للمقيظ إلى واحات العين، لكن متى سيخبرها سوى ليلة الاثنين نهاية الشهر، وهل ستكون ليلة وداع أم ليلة لقاء، كانت المشاعر المتضاربة تلك سبباً للقلق والارتباك عند جويهر، والليالي كانت بطيئة جداً، وعبر عنها جويهر في قصيدته:

يا نفس يا صبّارة داري لمعاشره
خلّك على مسياره لك زينٍ يذكره
والحاسد بانتكاره عنّك ما غيره
ولجلك حفظت أسراره وامشي بالمعذره
ويوم تّباعد مَزاره اتوزّمت خْطره

كانت هذه الونة تجري على لسان جويهر كل يوم حتى اشتهرت بين الناس، ووصلت إلى معشوقته قبل الموعد، وفي ليلة الاثنين من آخر الشهر جاء جويهر قبيل الفجر، وفوجئ بوقوف معشوقته خلف الدعون مرحبة به بفنجان من القهوة، فسألها: كيف أعددت القهوة ليلاً؟ ألم يسمعك أحد وأنت تطحنين البن؟! فقالت: إنها مطحونة قبل أن ينام الناس؟ فقال لها: إن صوت المنحاز قد يثير الشك في غير وقته! فأجابته: إن عدم حضورك في وقتك المعتاد هو ما سيثير الشك في قلبي، وهذا الشك الذي يجب أن تتقيه. هنا أحس جويهر بقوة الحب الذي يربطهما وسقط فنجان القهوة من يديه على صخرة وانكسر، فقال مرتجلاً أبياته التي يقسو فيها على نفسه، معتذراً لعدم احتفائه بالضيافة المميزة:

يسمح زين الجنابي ويدعى الخطا ما كان
ويعجني عجن الكابي[2] ويداوي بي الفنجان

وبعدها استأذن بالانصراف، فوقوفه قد طال لدقائق، وأنه جاء ليخبرها عن عزمه على ركوب البحر في موسم الغوص، هنا لمعت قطرة في عين معشوقته، وسقطت الدمعة أرضاً فقطعت قلب جويهر الذي باعد بين السعف المرصوص ليقبل خد معشوقته لأول مرة، مهدئاً روعها ومودعاً إياها إلى ثلاثة أشهر مقبلة أو تزيد. كانت طعم القبلة الأولى على شفتي جويهر الضخمة أشهى من العسل، وأسكر من الخمرة، فأكمل قصيدته التي كان تجري على لسانه طوال الشهر قائلاً:

شمّيت تحت سْطاره ريح مَحلى عْطره
لي تشرّيْه الحرارة الشّامي خمّره
لا يعلمون كْباره أخفي لمزاوره

1- جاء في أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، ج1 ص 269 أن أحداً رآى جويهر واقفاً على قارعة الطريق، وسأله عن سبب وقوفه، وحينما عرف السبب لامه، وكأن جويهر أجابه بهذه القصيدة.

2- جاء في أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، ج1 ص278 أن الكابي هو ما يحرق من الفنجان المتكسر، ويمزج ببياض البيض ليلحم به الفنجان المكسور.

3 أيام مشهودة في تاريخ الإمارات

«يوم العلم، يوم الشهيد، اليوم الوطني»

تحتفل دولة الإمارات ومؤسساتها بـ«يوم العَلَم» في الثالث من نوفمبر من كل عام، تعبيراً عن الاعتزاز بعلم الاتحاد، رمز التآخي والوطنية، كما تحتفل يوم الـ30 من نوفمبر من كل عام بيوم الشهيد الإماراتي، وتستمر الاحتفالات إلى يوم الـ2 من ديسمبر، اليوم الوطني للدولة، والذي يعدّ علامةً فارقة ومميزةً في تاريخ الدولة، وعمر الاتحاد.

نظَّم معهد الشارقة للتراث احتفالاً بـ«يوم العَلَم»، الذي يصادف الثالث من نوفمبر من كل عام، حيث قام سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشّارقة للتراث برفع علم دولة الإمارات العربية المتحدة خفّاقاً عالياً أمام المبنى الرئيس، وتمت تأدية تحية العلم بمشاركة موظفي معهد الشارقة للتراث.

وأكد الدكتور عبدالعزيز المسلّم، أن يوم العَلم هو يوم تاريخي نتذكر فيه القادة المؤسسين، وعلى رأسهم المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، مؤسس نهضة الإمارات وبانيها، كما نجدّد فيه العهد والولاء لقائد مسيرتنا صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، الذي يسير على درب القادة المؤسسين.

وأضاف الدكتور المسلّم قائلاً: «يعدّ العَلم رمزاً لهويتنا الوطنية، وجزءاً من تراثنا الذي يعكس الانتماء إلى تراب الوطن، وهو يجسّد أسمى معاني السلام والعدل والتسامح، ويحرص الجميع على رفع العلم بهذا اليوم، في ظاهرة وطنية تلامس كل من ينتمي إلى هذه الأرض الطيبة».

كما نظَّم معهد الشَّارقة للتراث، صباح يوم الاثنين الموافق 30 نوفمبر، مراسم يوم الشهيد، بحضور موظفي معهد الشارقة للتراث.

واستهلّ المعهد مراسم يوم الشهيد، بدقيقة دعاء

صامت لشهداء الوطن، الذين ضحّوا بأرواحهم في سبيل الدفاع عن كرامة الوطن، بالإضافة إلى رفع العَلم على أنغام النشيد الوطني.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم: «في الثلاثين من نوفمبر ترتفع رايات المجد والعزّ، تحلّق عالياً لتعانق السماء، إنه يوم الشهيد، أحد أبرز الأيام الوطنية التي نعتز بها، ونرفع هاماتنا عالياً فخراً بشهدائنا، إنه يوم الشهيد الذي روّى بدمه ثرى الأرض دفاعاً عنها، فأنبتت شموخاً وعزّاً، وقيادة لا تقبل لشعبها إلّا المركز الأول، فقد حقّقنا رصيداً عظيماً من النهضة والازدهار والسعادة، وتبوّأنا مكانة مرموقة وصلت إلى الفضاء، بجهود وعقول أبناء الوطن».

وأضاف الدكتور المسلّم: «كما أن يوم الشهيد هو أحد العناوين الكبرى التي نعتز بها، ففيه حكاية تقطر عزّاً وكرامة، حيث تعود بنا الذكريات إلى عام 1971، لتروي قصة البطولة والاستشهاد من أجل الوطن، وفي هذا اليوم نرفع أسمى آيات التقدير والعرفان، إلى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، الذي قرّر أن يكون يوم 30 نوفمبر من كلِّ عام، يوماً للشهيد، تخليداً ووفاءً وعرفاناً بتضحيات شهداء الوطن، الذين وهبوا أرواحهم لتظل راية الإمارات خفّاقة عالية».

كما احتفل المعهد باليوم الوطني الإماراتي الـ49، الذي يصادف يوم الـ2 من ديسمبر من كل عام، والذي يعدّ هذا اليوم علامة فارقة ومميزة في تاريخ الدولة وعمر الاتحاد، هذه المناسبة السعيدة التي أعادت الأمل، ورسمت البسمة، وأدخلت البهجة والسرور إلى نفوس الإماراتيين والعرب جميعاً في دولة الإمارات العربية المتحدة في ذكراها الـ49، دولة المحبة والسعادة والتسامح والتعايش السلمي، دولة البناء والعطاء المتدفق.

أكثر من 300 عنوان متنوّع في شتى مجالات التراث الثقافي

مشاركة متميزة لـ «الشارقة للتراث» في الدورة الـ39 لـ«معرض الكتاب»

شارك معهد الشارقة للتراث في معرض الشارقة الدولي للكتاب، في نسخته التاسعة والثلاثين، الذي انطلق في الرابع من نوفمبر الجاري، حتى الرابع عشر منه، تحت شعار «العالم يقرأ من الشارقة»، وتنوعت الكتب الموجودة في جناح المعهد بالمعرض، وتجاوزت أكثر من 300 عنوان في مختلف مجالات التراث الثقافي والتاريخ والثقافة والأنثربولوجيا، وقد لقيت إقبالاً حيوياً لافتاً من قبل عشاق الكلمة المكتوبة.

إمارة الثقافة والتراث والمعرفة، العاصمة العالمية للكتاب».

وأشار إلى أن المعهد شارك في المعرض هذا العام، بأكثر من 300 عنوان في التراث والثقافة، بما يشكل زاداً مهماً لعشاق التراث والقراءة، وينسجم مع رؤية المعهد ورسالته الثقافية والعلمية، لترفد

الشيخ سلطان بن أحمد القاسمي والدكتور عبدالعزيز المسلّم

محطة أساسية للقاء الكتّاب والناشرين والقرّاء

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «نحرص على المشاركة في معرض الشارقة الدولي للكتاب في كل عام، فهو عنوان عريض لمختلف الأنشطة والفعاليات والبرامج التي تعنى بعالم المعرفة والثقافة والعلم، كما أنه محطة أساسية للقاء الكتّاب والناشرين والقرّاء وعشاق المعرفة والثقافة والتراث، ويشكل دوماً فرصة لتبادل المعرفة والخبرات والتجارب في الشارقة، الساحة الثقافية بنتاجات وإصدارات علمية قيّمة، تتوافر فيها كل شروط ومعايير النشر العلمية والأكاديمية، وإثراء المكتبة الإماراتية والعربية بالجديد والمفيد في الثقافة والتراث والتاريخ والأنثروبولوجيا وغيرها، وبالنتيجة تتناغم مع توجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الهادفة إلى بناء جسور المعرفة عبر الكتاب.

إقبال كبير

ومن جانبه، قال الدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر بمعهد الشارقة للتراث: «يحرص معهد الشارقة للتراث على تكامل مهامّه ووظائفه؛ لتشكل في مجموعها قيمة مضافة للباحثين والقرّاء وعشاق التراث، حيث يؤدي المعهد أدواره على أكمل وجه، في البرامج والأنشطة والفعاليات الميدانية والعلمية والأكاديمية، والإصدارات والمطبوعات المتنوّعة، من كتب ومجلات، بما يسهم في إثراء المكتبة العربية، وتزويد القارئ بما يحتاجه من معلومات ومعرفة».

ولفت إلى أن مشاركة المعهد في معرض الشارقة الدولي للكتاب لهذا العام، في ظل حرص كبير على سلامة زوّار جناح المعهد، وتوفير مختلف الوسائل والآليات التي ركزت عليها إدارة المعرض من أجل سلامة الزوّار، بسبب الظروف الاستثنائية بما يخص فيروس كورونا.

مشيراً إلى أن جناح المعهد شهد توقيع الإصدارات، وإقبالاً لافتاً عليها من القرّاء، بالإضافة إلى أنه يحرص دوماً على المشاركة في معرض الشارقة الدولي للكتاب، الذي يشكل فضاءً حيوياً للجميع، ومحطة لقاء لكل المعنيين بعالم القراءة والبحث.

الأكثر مبيعاً

إلى ذلك، من بين العناوين التي كانت متوافرة في جناح المعهد الأكثر مبيعاً، هي: مدينة الذيد.. قراءة في التاريخ والشخصيات، لخليفة حامد الطنيجي، زايد ومقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتورة نورة البلوشي والدكتور عمر الجميلي، تاريخ مدينة خورفكان، للدكتور عبدالله سليمان المغني، زينة وأزياء المرأة الإماراتية، لشيخة الجابري، معجم الأدوات في التراث الإماراتي، للدكتور حمد بن صراي وعلي المغني، وفلج الذيد.. الماء والحياة والنخيل، للدكتور سالم الطنيجي.

وجديم الصوف في نقش الحروف، لآمنة الرشيد وسميحة الملا، السيارة.. تاريخٌ وأشعار، لفهد المعمري، العصر العباسي.. دراسات في التاريخ والحضارة، للدكتور نجيب بن خيرة، فن الصوت الخليجي، لعلي العبدان، الآلات الموسيقية التقليدية، لعلي العشر، معاني الكلمات العامية في اللهجة الإماراتية، للدكتور سالم القمزي، حسابات الدرور

وحسابات سهيل، لصخر سيف، عبدالجليل السعد.. مجموعة كتّاب في رجل واحد، للدكتور حمد بن صراي، مجلس إبراهيم المدفع.. دراسة تاريخية ومعمارية، للدكتور عبدالستار العزاوي، رحمه الله.

وتأتي جهود معهد الشارقة للتراث من أجل التعريف بالتراث الإماراتي الذي يشكل أحد أهم عناوين وملامح الهوية الوطنية والخصوصية، وحفظه وصونه ونقله للأجيال، من خلال مختلف الأنشطة التي ينفذها المعهد على مدار العام، مثل أيام الشارقة التراثية، وملتقى الشارقة الدولي للراوي، وأسابيع التراث العالمي، وغيرها من الفعاليات التي تتكامل مع الجانب المعرفي والعلمي والأكاديمي للمعهد.

«مركز التراث العربي» يحتفي بيوم التراث السمعي والبصري

نظّم معهد الشارقة للتراث، الثلاثاء، على منصته في وسائل التواصل الاجتماعي، ندوة افتراضية بمناسبة اليوم العالمي للتراث السمعي والبصري، الذي يصادف 27 أكتوبر من كل عام، تحت شعار «نافذتك إلى العالم».

كما نظّم فرع المعهد في خورفكان محاضرة افتراضية بالمناسبة نفسها، تحدثت فيها الباحثة في التراث، فاطمة المغني، عن الحفاظ على التراث السمعي والبصري.

وبهذه المناسبة، صرّح سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث بالآتي: «ننظر إلى اليوم العالمي للتراث السمعي والبصري كمحطة مهمة، تسهم في زيادة الوعي بشأن أهمية التراث السمعي والبصري، وصونه ونقله للأجيال القادمة، فهو بكل تأكيد شاهد فريد، في كثير من الأحيان، على التطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي».

ولفت إلى حرص المعهد على الاحتفاء بمثل هذه المناسبات، لما لها من دور في تعزيز الوعي بأهمية التراث ومكانته، وفي الوقت نفسه هي من صلب وظائف المعهد واهتماماته، حيث يُعنى بعالم التراث بمختلف عناصره ومكوناته.

وأشار إلى أن الوثائق السمعية والبصرية تتكامل مع السجلات المكتوبة والمدوّنة التي تؤرّخ للشعوب وهوياتها، وخصوصية كل شعب وجماعة اجتماعية وحضارة، ما يستوجب بذل كل الجهود لحفظها وحمايتها من التلف والضياع والإهمال ومختلف أشكال المخاطر.

مشاركة واسعة في الندوة الافتراضية

تحدث في ندوة اليوم العالمي للتراث السمعي والبصري، على منصة معهد الشارقة للتراث، عدد من الباحثين والمختصين، هم: الدكتور سمير الضامر، باحث في الدراسات الثقافية من السعودية، حيث تناول التوثيق السمعي والبصري للأغنية الشعبية في السعودية، وبيّنت الدكتورة صفاء العلوي، مديرة الأرشيف الوطني بمركز

عيسى الثقافي في البحرين، دور التراث السمعي والبصري في تعزيز الانتماء الوطني. وتناول الدكتور الحبيب الناصري، الباحث والناقد السينمائي في المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين في المغرب، قيمة الأرشيف الإذاعي والبصري في الحفاظ على الذاكرة الشعبية، أما الدكتور بشير خليفي من الجزائر، فتحدث في ورقته عن أهمية المحافظة على التراث السمعي والبصري.

وتطرق المصور والمخرج التونسي، مروان الطرابلسي، إلى دور البصري في توثيق الذاكرة التونسية، من خلال تجربة فيلم وثائقي، وشارك الصحافي وصانع الأفلام الوثائقية المصري، عبدالفتاح فرج عبدالفتاح، في مداخلة عنوانها مبادرات وجولات شبابية توثق التراث المصري وتحميه من الإهمال والنسيان، كما شاركت منتجة الأفلام الوثائقية التونسية، هاجر بنصر، في ورقة بعنوان الأفلام الوثائقية كأداة ناجحة للمحافظة على التراث، حيث لاقت الندوة تفاعلاً حيوياً لافتاً، بمشاركات من نحو 12 دولة من العالم.

من جانبها، قالت عائشة الحصان الشامسي،

مديرة مركز التراث العربي، التابع لمعهد الشارقة للتراث، في كلمة ترحيبية بالحضور: «إن فعالية اليوم العالمي للتراث السمعي البصري هي الخطة التي اعتمدها مركز التراث العربي بمعهد الشارقة للتراث، حيث نجتمع في كل عام لإثراء هذا التراث السمعي البصري وإحيائه في كل دول العالم، كما أن شعار اليوم العالمي للتراث السمعي البصري لهذا العام هو (نافذتك إلى العالم)، وجاء هذا العام مختلفاً جداً، حيث ذهبنا إلى نوافذ كثيرة من العالم، وكانت المشاركات من 12 دولة من دول العالم، منها دول مجلس التعاون ودول عربية أخرى، وأيضاً من دول أوروبية مثل النرويج، إسبانيا، السنغال، إيطاليا». وأوضحت عائشة الحصان الشامسي، أن هذه المشاركات تضمنت كلمات جميلة ومعلومات ثرية، تقدر بعبارات ثمينة، فيها تجارب شخصيات من دول عدة، يتحدثون عن هذا اليوم وأهميته للمجتمع والعالم، وعرض تجارب المؤسسات التي تهتم بحفظ التراث السمعي البصري، وأيضاً تجاربهم الخاصة كالأرشفة والتوثيق، وقد تم عرض هذه المقاطع في مواقع التواصل الاجتماعي.

وأشارت إلى أن هذه الفعالية أدرجت ضمن مهام قسم الأرشيف بمركز التراث العربي، التابع لمعهد الشارقة للتراث، تقديراً للجهود المبذولة على مستوى العالم في مجال توثيق وحفظ التراث السمعي البصري، من خلال الندوات العلمية والبرامج المتنوعة التي تشارك فيها المؤسسات والأفراد في دولة الإمارات العربية المتحدة.

فرع خورفكان

تناولت الباحثة في التراث، فاطمة المغني، في محاضرتها التي حملت عنوان «الحفاظ على التراث السمعي والبصري»، بفرع المعهد في خورفكان، أهمية الحفاظ على التراث السمعي والبصري وضرورته، نظراً لقيمته العملية والمعرفية والتاريخية والتراثية.

وتطرقت الباحثة في محاضرتها إلى كيفية الحفاظ على هذا التراث، ولماذا، وسلطت الضوء على تجربة معهد الشارقة للتراث بفروعه كافة، في مختلف مجالات وجوانب الحفاظ على التراث وصونه ونقله للأجيال، وجهوده في التعريف باليوم العالمي للتراث السمعي والبصري، وأهمية حفظه وصونه، والمبادرة التي أطلقها قبل نحو 5 سنوات بهذا الخصوص.

ويحرص المعهد على الاحتفاء بهذه المناسبة منذ 5 سنوات، آخذاً بعين الاعتبار الشعار المعتمد من المجلس الدولي للأرشيف وجمعيات المحفوظات السمعية البصرية، ويكمن الهدف من الفعالية، في الإسهام في زيادة الوعي العام بضرورة الحفاظ على المواد السمعية البصرية، ورفع المستوى العلمي والثقافي لدى المجتمع من خلال البرامج والورش العلمية والثقافية، وأيضاً لتبيان أهمية تعريف هذا الموروث السمعي البصري للمجتمع، والتشجيع على المحافظة على الكنوز التراثية.

افتتاح مشغل الدمى في بيت الألعاب الشعبية

افتتح معهد الشارقة للتراث، مؤخراً، مشغل الدمى في بيت الألعاب الشعبية، الذي يقع في ساحة الآداب بحي المريجة في منطقة «قلب الشارقة»، بهدف تدريب الموظفات وتأهيلهنّ لورش الدمى، وفق أجندة المعهد وخططه الاستراتيجية في الاستمرار في إحياء مختلف عناصر ومكونات التراث، والحفاظ عليها ونقلها للأجيال القادمة، ومن ضمنها الألعاب الشعبية والحرف والمهن التقليدية.

وأكد رئيس المعهد الدكتور عبدالعزيز المسلّم، حرص «الشارقة للتراث» على مواصلة جهوده وبرامجه في عالم التراث، بما يسهم في التعريف به وصونه ونقله للأجيال، من خلال أنشطته الميدانية والعملية والعلمية المتنوّعة، ومن هذا المنطلق تم افتتاح مشغل الدمى في بيت الألعاب الشعبية.

وتابع: «وكان الأطفال يبدعون في صنع العرائس من مخلفات الخياطة أو قطع القماش، وتميز مثل هذا

الإبداع بأنه كان مقتصراً على الفتيات دون الصبية، حيث كانت الفتيات يتفنّنّ في صناعة الدمى، ويقمن بلف هذه القطع على أعواد الثقاب، كما كنَ يقمنَ برسم العيون والأنف والفم بوساطة القلم، ويتفننّ في تزيين عرائسهنّ، في تعبير مميز عن واقع المجتمع الذي كنّ يعشنَ فيه، وها نحن نعمل من خلال افتتاح المشغل على إعادة ذلك المشهد الإبداعي، والعمل على دعمه وتشجيع المشاركات، بما يسهم في الكشف عن مواهبهنّ وإبداعاتهنّ».

ولفت إلى أنه عند ظهور العرائس البلاستيكية تم الاستغناء عن العرائس المصنوعة من القماش، ومن هذا المنطلق قام بيت الألعاب الشعبية بإحياء هذه الدمى لعمل الألعاب الشعبية؛ لتعبّر عمّا قام به هؤلاء الأطفال في الزمن البعيد.

ويهدف بيت الألعاب الشعبية إلى إحياء الألعاب الشعبية القديمة، والحفاظ على المفردات الجميلة لهذا التراث العريق في عقول الجيل الحالي وأجيال المستقبل، وحماية الموروث من الاندثار.

ويشارك البيت في إحياء العديد من المناسبات الوطنية في إمارة الشارقة وخارجها، من خلال تقديم عروض شائقة تلاقي استحسان الجمهور وتفاعله، كما تتولى إدارة البيت تنظيم العديد من الورش الخاصة بالأطفال في مجال الألعاب والرياضات الشعبية، وتُعرض في البيت صور ومجسمات لجميع الألعاب الشعبية القديمة، مثل: الزبوب، الدحروي، خيل من الكرب، والعديد غيرها.

حفل إطلاق كتاب «تاريخ مدينة خورفكان»

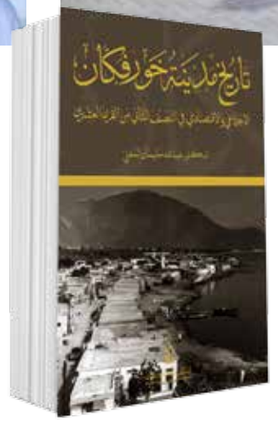

احتفى معهد الشارقة للتراث في المنطقة التراثية في خورفكان، بمناسبة صدور وإطلاق كتاب «تاريخ مدينة خورفكان.. الاجتماعي والاقتصادي خلال النصف الثاني من القرن العشرين»، لمؤلفه الدكتور عبدالله المغني. ترأس الجلسة الاحتفائية الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، بحضور الدكتور راشد عرب، رئيس المجلس البلدي في خورفكان، وفاطمة المغني، الباحثة في التراث، وخالد الشحي، مدير مكتب المعهد في خورفكان، والدكتور مني بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر في المعهد. وقال الدكتور عبدالعزيز المسلّم، إنه تم اعتماد إطلاق كتاب تاريخ خورفكان للدكتور عبدالله المغني في المنطقة التراثية بخورفكان، بما يسهم في إنجاحها وإبرازها، وكل الشكر والتقدير للباحث المجتهد الدكتور عبدالله المغني، الذي قدّم لنا مادة دسمة للقراءة والمعرفة.

من جانبه، أوضح المؤلف الدكتور عبدالله المغني، أن فكرة تأليف هذا الكتاب بدأت في عام 2017.. مشيراً إلى أنه اتخذ منهجاً تميز بالرجوع إلى المصادر الأصلية، وبعض المراجع التي سبق أن تناولت أجزاء من هذا الموضوع، إلى جانب الاستعانة بالوثائق الخاصة ببعض الأهالي، والصور المحفوظة لدى بعض مَن عاشوا تلك المرحلة، وحاولوا توثيق جزء منها بما لديهم من وسائل وإمكانات تقنية متواضعة.

ويتكوّن الكتاب الصادر عن معهد الشارقة للتراث من عشرة فصول، تتناول مختلف جوانب التاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للمدينة خلال الفترة المدروسة، ويسرد المؤلف قصة اهتمامه بهذا الموضوع.

«الشارقة للتراث» يصدر «فنون شعبية من العالم» و «عمري 3000 سنة»

أصدر معهد الشارقة للتراث، مؤخراً، ألبومين موسيقيين من التراث الفني، للباحث والموسيقي أزهر كبة، رئيس قسم التراث الفني بالمعهد، يستعرض الألبوم الأول المعنون بـ: عمري 3000 سنة، (12 تراكاً)، منها موسيقى لأغانٍ من التراث العراقي، يترجم السنطور غناءها بتوزيع جديد، وكذلك مؤلفات موسيقية، وتأتي عناوين المقطوعات الموسيقية كما يلي: بهيدة/ عد وانة عد، وهيام، وهذا مو إنصاف، وذكريات بغدادية، واسكودارا، ورحلتي إلى الأندلس، والنوم محرم، وهاجن جنوني، ودروب السفر، بالإضافة إلى موسيقى سارة، وتقاسيم من وحي مقام الراست، وحكايات موسيقية.

ويشتمل الألبوم الثاني على فنون شعبية من العالم، تقدّم توليفة جميلة لمجموعة من الفرق الفنية: فرقة الشارقة الوطنية، الأرجنتين، البوسنة، كرواتيا، إسبانيا، تشيلي، المكسيك، أوكرانيا. وقد تم توثيق هذه الفنون للفرق الشعبية التي شاركت في أيام الشارقة التراثية خلال السنوات الماضية، في نطاق اتساع دائرة اهتمام المعهد بالفنون الشعبية الإماراتية والخليجية، باعتبارها نافذة مشرّعة على العالم.

وقال أزهر كبة: «تسهم موسيقى السنطور في دخول السامع والمتابع إلى عالم الهدوء النفسي، والراحة الفكرية، والسلام الداخلي، كما أن جمال سحرها يبعث دائماً على السلام الداخلي، وكأنه يأخذ المستمع إلى أمكنة تسمو عن الأرض إلى فضاءات بلا حدود، إضافةً إلى أن السنطور من الآلات الموسيقية صعبة الاستخدام، الأمر الذي أدى إلى قلة العازفين عليه»، موضحاً «إننا نحتاج إلى خبراء في عالم الموسيقى؛ لكي يسهموا في الحفاظ على هذه الآلة المدهشة، وحمايتها من الاندثار».

آلة عريقة

لفت كبة إلى أن السنطور آلة موسيقية وترية تعود إلى الحضارات العراقية الأولى، منذ عهد البابليين والسومريين، حيث جسّدوا السنطور في ملاحمهم التاريخية، مثل ملحمة جلجامش، وهي تشبه آلة القانون، لكنها تختلف عنها في طريقة العزف، فمع آلة السنطور يتم العزف من خلال الضرب على أوتاره بمضربين صغيرين من الخشب، ويقوم بتبديل الأصوات بتحريك الحمالات التي تسند الأوتار، (عادة مصنوعة من الخشب)، بينما يتم العزف بآلة القانون، بريشتين مصنوعتين من الفضة، تلبسان في سبابتي يدي العازف اليمنى واليسرى، ثم ينقر بهما على الأوتار التي أمامه.

وأوضح أن آلة السنطور تحتوي على أربعة وعشرين نغمة مختلفة، وتكون مقسّمة ومشدودة بشكل رباعي،

فكل أربعة أوتار لها درجة صوتية واحدة؛ ويبلغ عدد الأسلاك أو الأوتار في السنطور 100 وتر، مع مفاتيح يبلغ عددها 100 أيضاً، وتقع على يمين الآلة، ويتوزع كل مفتاح لوتر منها مخصص للدوزان أو التيونك؛ لضبط الأنغام والدرجات الصوتية، وللسنطور دور كبير في السيطرة على إيقاع الأغنية، ونقل المفردات الموسيقية.

طريقة صحيحة

وأكمل أن لكل آلة موسيقية ميزة خاصة تنفرد بها عن غيرها، وما يميز آلة السنطور صوتها العذب المختلف تماماً عن بقية الآلات الموسيقية الأخرى، وكل آلة لها ميزة خاصة أخرى تتعلق بطريقة العزف عليها وأسلوبها، ما يجعلها تدخل القلوب من دون استئذان. أما عن وصفه المجتمع العربي في تقبله التراث الموسيقي، فقال بلهجة عراقية: «اللي ماله أول ماله حاضر».

وأوضح: من الموسيقى التراثية وآلاتها التراثية بنيت الموسيقى الحديثة، وقد يكون لكل زمن موسيقاه، لكن للتراث طعماً خاصاً، كما أن المجتمع العربي مجتمع واعٍ يحب التراث، وكل ما يذكّره بالماضي الجميل، وما نحتاجه هو أن نقدم الموسيقى التراثية بطريقة صحيحة مدروسة، لكي يتقبلها المجتمع بكل فئاته وأعماره، وهذه هي رسالتي وأمنيتي.

في صدارة الآلات العراقية القديمة

ومازالت أنغام آلة السنطور التراثية تصدح في العالم العربي والعالم الغربي، منذ 3000 سنة، وهي في مقدمة الآلات العراقية القديمة، وتستطيع أن تقدم ما لم يقدمه الأسبقون، وتتميز وتبدع.

وجاء طرح الألبوم لتعزيز وجود السنطور وحضوره في المشهد الموسيقي، وفي الوقت نفسه دعوة لسماع أنغامه بعد غياب عازفي هذه الآلة وعزوفهم عن تقديم ألبومات موسيقية تعتمد عليها، كما أنه من المهم تقديمها اليوم بشكل يواكب الحاضر من خلال طريقة العزف بالشكل غير التقليدي، والتوزيع الحديث، والموسيقى المبتكرة، التي لم تقدم سابقاً حتى الآن من خلال الآلات التراثية الأخرى.

عامٌ ونص للإنجاز

واستغرق هذا العمل نحو سنة ونصف السنة، كي يتم إنجازه، حيث تم العمل طوال تلك الفترة على الاختيار الدقيق للأعمال وإعادة التسجيل، وإعادة التوزيع بشكل أجمل، حيث إن الموسيقى لغة عالمية، وإن كانت بلهجات مختلفة، تستهدف كل من يحب الحياة والجمال والطبيعة، ومن الممكن أن يسمعها ويفهمها الجميع، ومن الممكن أن يستفيد منها طلبة آلة السنطور، ومحبو الاستماع للموسيقى الكلاسيكية العربية، وبطريقة التوزيع الموسيقي الحديث.

المطـر

الحاضر القوي في الأدب الشعبي الإماراتي (4)

«المعتقدات والأقوال الشعبية»

يحضـر المطـر بصـورة قويـة فـي التـراث الشـعبي الإماراتـي، وهـو حضـور غيـر عـادي، تـم توظيفـه فـي مختلـف ألـوان الأدب الشـعبي، لاسـيما فـي الحِكَـم والحـدوات الشـعبية، كمـا يحتـل مكانـة خالـدة فـي المخيلـة الشـعبية؛ فيبـرز واضحاً فـي المعتقـدات والأقـوال الشـعبية، وعبـارات التواصـل البشـري، محافظـاً علـى مكانتـه عنوانـاً للفـرح، ورمـزاً للعطـاء، وحلمـاً قريـب المنـال.

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

يبقى المطر إرثاً ثقافياً له مكانة خاصة في المجتمع الإماراتي قديماً وحديثاً، فطالما مثَّل جزءاً أصيلاً من التراث الشعبي؛ فبالرجوع إلى بعض تفاصيل التاريخ الاجتماعي والثقافي للإمارات، تتجلى قوة حضور المطر في المجتمع الإماراتي، إذ حافظ على قيمته، رغم قلة سقوطه، عنواناً نادراً لفرح الكبار والصغار معاً، ورمزاً للعطاء المرتقب، وحلماً تتعلق بتحقيقه كثير من الآمال.

فالمطر في المخيلة الشعبية الإماراتية رمز لأشياء كثيرة؛ أهمها «الحياة والنماء»، إذ تتواصل هذه الرمزية ماضياً وحاضراً، فلم يكن لأهل البادية قديماً حياة دون المطر، فهو لازمة الحياة والخصب، ومن عظائم رمزية المطر في النفوس أن نزوله إذا تزامن مع ولادة طفل استبشر أهله بهذا الطفل، وظنوا به الفأل الحسن والخير، وأملوا فيه الصلاح والغِنى ونيل الوافر من العلم. حتى إن الأسماء، ذكوراً وإناثاً، حملت العديد من إيحاءات المطر مثل: «مطر» و«مزنة» و«ديمة» و«غدير» و«غيث» و«رعد».

وقد أدت المعتقدات والأقوال الشعبية، وعبارات التواصل البشري، أدواراً مهمة تتصل بالقيم التي يمجّدها المجتمع؛ وهي تنتصر جميعها لقيمة الخير، وتنفّر من قيمة الشر، فتجعل عواقبها وخيمة. وفي المجتمع الإماراتي، يُنظر إلى المطر كرمز للطهارة، ويُحَثُّ على التطهُّر والتبرُّك به، فيرقب الناس مع بداية موسم المطر (الوسمي) قدوم هذا الرمز البُشرى، حامل الخير، وباعث اخضرار البر، ونمو نباتاته، وظهور خيراته.

لذا فمن الطبيعي أن يكون لأهل الإمارات طرق ووسائل تقرّبهم من مصدر هذا الخير، ومن خالقه وباعثه، تعكس ذلك معتقدات تأصَّلت في موروثهم، وعبارات ومصطلحات ترافق موسم المطر في تواصلهم الاجتماعي، لتعبّر عن قيمهم الإيجابية التي تعظّم هذا الخير المبارك، وتمجّد مُنْزِلَه، وتعبّر عن شكرها له سبحانه، وعن حمدها لفضله ونعمته.

فالمطر رحمة الله لخلقه، وهو الخصب والخصوبة والنماء، ومصدر الرزق، والبلل الجميل. فالإنسان كأنما يتطلع إلى السماء على أنها مصدر رزقه، يتساقط منها الزرع ويحيا بها الضرع، لذا عند سقوط المطر يتبادل الجميع في الإمارات التهنئة بعبارة، «مبروك عليكم الرحمة»، ويأتي الرد: «الله يجعلنا نعمة بادّة»، فهم يسمّونه «الرحمة». ويتساءلون عند اللقاء: «كيف أنتم والرحمة»؟ فيأتي الرد سريعاً مستبشرين برحمة الله تعالى: «رحمة الله بادة».. أي أن الغيث قد نزل عندهم أيضاً.

وحتى لو لم يشمل بعضهم نزول المطر، يظل الأمل قائماً، والاستبشار بنصيب منه كبير؛ فمع بشائر قدوم الشتاء، إذا مرت سحابة داكنة منخفضة على منطقة معينة، وأفرغت ما بجعبتها من مطر غزير على تلك المنطقة، دون أن يبقى نصيب للمنطقة التي تجاورها، يقولون في ذلك، «المطر متفرق»؛ فما أصاب هذه المنطقة من مطر هذا السحاب، سيصيب المنطقة الأخرى من سحاب آخر، ويأتيها نصيبها في مرات لاحقة، ويؤكدون بالقول: «الخير جاي»؛ أي المطر قادم بإذن الله، فالأمل يحدوهم دائماً بأنهم سيحصلون على نصيبهم حتى لو تأخر سقوط المطر لبعض الوقت.

وعندما تكون السماء ملبَّدة بالغيوم، يستبشرون بمائها المحمول، ويقولون: «الغيم يحوم والرب رحوم». وإذا نزل المطر وتواصل سقوطه الخفيف لأكثر من أسبوع يسمَّى «خومة»، وفي ذلك يقولون: «اربطت الخومة بالجمعة، ولا تنفك إلا بالجمعة القادمة». ومع بوادر نزول المطر ثمة كناية شعبية تقول: «أرْوَح سيل يا ضبعة»؛ أي اشتمّ المطر أيها الضبع، ومن المعروف أن حيوان الضبع له حساسيته الشديدة لشمّ المطر.

وفي مثل تلك الأجواء من توقُّع قدوم المطر، ثمة حكمة شعبية تقول: «إذا هبَّت النكبا بيوم وليلة، خوفي على وادي المحيل يسيل». والنكبا هيَ نسيم الصبا، كما تسمى «الشرجي»؛ أي الهواء الذي يهبُّ من جهة الشرق، وبعضهم يسميها النجبا. ووادي المحيل هو الوادي الذي حلَّ به المحل والجدب.

ودرج الأهالي على أن يقرنوا الرياح التي تهبُّ من الشرق بنزول المطر، ويستبشرون بها خيراً؛ فإذا هبّت هبوب الشرق، فإن الوادي الجافّ المحل سيسيل بسبب المطر الذي ستخلّفه هذه الريح المباركة. وأكثر ما يلاحظ واقع هذه الحكمة في الجبال والصحارى، حيث الأجواء مفتوحة.

وفي حكمة شعبية أخرى، ثمة تحذير للمسافرين بحراً، إذ تقول الحكمة: «بارج العشاء بندر به، وبارج غبْشَة سافر به». وأصل بارج بارق، وقد قُلبت القاف جيماً، وهو نفسه البرق. ويقصد بالعشاء الليل. وبندر به تعني توقّف بسفينتك في المرسى عند رؤية البرق. فيما يقصد بغبشة وقت الفجر.

وفي هذه الحكمة الشعبية القديمة تحذير للمسافرين عبر البحر في ظروف جوية غير آمنة، وذلك حمايةً لهم من عواصف البحر ومخاطره. فإذا كان السفر ليلاً وظهرت بوادر البرق، فعليهم الانتظار درءاً لمخاطر المطر والعواصف الرعدية التي تلوح في الأفق. أما إذا كان البرق بعد الفجر، فلا خوف من السفر؛ لأن الفجر سيتبعه النهار، وسيتمكَّن ربَّان السفينة من التصرُّف حال دهمهم المطر وحدث لهم سوء.

ومن الظواهر الفلكية التي تكون في أواخر فصل الشتاء ما بين شهري فبراير ومارس، ما يقال له «برد العيايز»، إذ يكثر المطر، ويشتد البرد قليلاً، فلا يتحمَّله كبار السن الذين يشعرون بالبرد لأدنى هبوط في درجة الحرارة، ومن هنا جاءت تسميته «برد العيايز».

وفي الفترة نفسها من فصل الشتاء يقال «التسعين حالفة لتمطر، لو تْبلّ ريش الدجاج»، إذ يقال هذا القول الشعبي على لسان درّ التسعين من باب التفاؤل، وكأنَّ ذلك الدرّ يُقسم ويؤكد أن المطر سينزل فيه مهما كان وبأي كمية، حتى ولو كان

على هيئة زخَّاتٍ قليلة تكفي لتبلّل ريش الدجاجة.

و«التسعين» هو أحد درور السنة الذي يأتي في أواخر الشتاء، وعادةً ما يكون بارداً قليلاً، وينزل فيه المطر. والدرور حساب فلكي قديم معروف في منطقة الخليج العربي، يعتمد على حساب أيام السنة في شكل عشري يقسمها إلى 36 قسماً، وكل قسم يتكون من عشرة أيام يعرف بالدرّ، ويبدأ من طلوع نجم سهيل؛ أي من منتصف شهر أغسطس من كل عام.

ودخلت معاني المطر وإيحاءاته إلى عبارات المدح والفرح بلقاء شخص، والترحيب والإطراء على الضيوف، وتأكيد معزَّتهم، فيتمُّ الترحيب بالضيف بالقول: «مرحبا بالطّشّ والرّشّ»، أو «يا هلا بالطَّشّ والرّشّ»، والطَّشّ والرَّشّ متلازمتان في الاستعمال اللغوي: فالطَّشّ كما في المعجم: المطر، والرَّشّ: الهتان، وهو المطر عندما يكون خفيفاً، وهما في الأصل اسما صوت لبدء نزول المطر، فهكذا يكون صوت المطر عند نزوله على الأرض. ويرادف هذا القول قول شعبي آخر هو «أسْفَرَت وانْوَرت واسْتهلّت وامْطَرت»، وهو خطابٌ للضيف وللعزيز القادم، ومعناه أن الدنيا أسفرت وأمطرت بقدوم ذلك الضيف.

وثمة ما يفيد المعنى نفسه، وهو القول الشعبي «الأقدام لها أحكام»، والمقصود من ذلك أن قدوم بعض الأشخاص إلى مكانٍ ما، يكون فيه نوع من التبرُّك والفأل الحسن لذلك المكان وأهله، كما يعتقد بعضهم، فيتباركون به ويفرحون. ومثال على ذلك عندما يصادف قدومه نزول المطر، أو قدوم مولود، أو حصول مفاجأة سعيدة كانت مُنتظرة الوقوع.

ورغم أن المعتقدات الشعبية حيال المطر تكتسي جميعها بالتفاؤل وترقُّب الخير، غير أنها لا تخلو من بعض الأقوال التي تبعث على التطيُّر؛ ففي المطر تحرص عوائل كثيرة على إبعاد صغارها الذين لا يحسنون الكلام بعد عن أجواء المطر، خوفاً من أن يشربوا من مائه، فتتلف مخارج حروفهم! ويقال في ذلك: «طاح السيل في ثمه»، أو «بلّ حلجه المطر».

وثمة قول آخر يحمل معنى الحسد، فيقال: «تمطر دار لفْسدَة وتمحل دار لحْسدة». وتعني لفْسدة الفاسدون وأصلها الفسدة، فيما تعني لحسدة الحسّاد وأصلها الحسدة. وهذا معتقد شعبي يعني أن المطر ينزل على دار الفاسدين، بينما المحل والجفاف يأتي على دار الحاسدين. وهو يقال في المحل الشديد، لاسيما عندما يهطل المطر في ديارٍ أخرى. وهو يقال من باب الدعابة والتمنّي والحسد في الوقت عينه.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أحمد ملحم، الفولكلور في مجتمع الإمارات.. الأصالة والتنمية، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، 2019م.
2. التقويم الهجري، نادي تراث الإمارات، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، 2014م.
3. جريدة البيان، 2002/12/26م.
4. جريدة الخليج،16 /2/ 2017م.
5. راشد أحمد المزروعي، موسوعة الأمثال والأقوال الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 2016م.
6. فالح حنظل، جامع الأمثال ومأثور الأقوال والحكم والكنايات عند أهل الإمارات: دراسة في الثقافة والقيم الفكرية الشعبية، أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى، 2016م.
7. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004م.
8. موزة عبيد غباش، التراث الشعبي في دولة الإمارات: دراسة شاملة لفولكلور التاريخ الثقافي لدولة الإمارات العربية المتحدة، دبي: دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2011م.

إيهاب الملاح
كاتب وناقد مصري،
وباحث في التراث الثقافي

اكتشاف التراث العربي...
أوليات البحث في التراث الفكري للعرب والمسلمين (1)

(1)

في العام الأول لنا من التحاقنا بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة العريقة)؛ كان العالم الجليل المرحوم الدكتور محمود فهمي حجازي يدرّس لنا مادة «المدخل إلى علم اللغة»؛ وكانت من أمتع المحاضرات وأغناها علماً وفكراً وإثارة للأذهان، وإنارة للعقول.. كان، رحمه الله، يخوض بنا غمار التراث العربي القديم، والدراسات المعاصرة بسلاسة ويسر وبراعة، كان يجمع بين ميزتين عظيمتين؛ تبحره الواسع والدقيق بعلوم اللغة والتراث العربي في

مجالاته كافة، وامتلاكه ناصية البحث المعرفي فيها، وبين اطلاعه المتمكن على أحدث منهجيات البحث اللغوي والعلوم الإنسانية، بفضل إجادته الممتازة للغات الأجنبية؛ وعلى رأسها الألمانية والفرنسية والإنجليزية، فضلاً عن الفارسية والتركية والعبرية، وعدد من اللغات المنقرضة التي لم يتبق منها سوى نقوش وكتابات أثرية؛ مثل الأكادية والحبشية والآرامية والسريانية.

أذكر أنه في واحدة من هذه المحاضرات الرائعة؛ سأله واحد منا عما يمكن أن يبدأ به رحلة تعرفه إلى كنوز التراث الإسلامي والعربي وروائعه؛ في جانبه العقلي والفكري؛ لكن بصورة كلية وشاملة، وتغطي مساحة زمنية كبيرة...

جاءت إجابة الدكتور حجازي سريعة ومباشرة وموجزة حاسمة «اقرؤوا كتب المرحوم أحمد أمين كلها، لا تنقصوا منها شيئاً». فلما استزاده الطلبة لبيان ما يقصد وسببه؛ أجاب بأن السلسلة التي عكف على إخراجها المرحوم أحمد أمين، واستهلها بكتابه الأشهر «فجر الإسلام»؛ هي مما لا غنى عنه لأي طالب أو دارس أو باحث أو قارئ عام في تاريخ حضارة الإسلام، والثقافة الإسلامية العربية، والفكر الإسلامي.

كان حديث الدكتور حجازي مُلهماً لنا جميعاً، وإن كنتُ على المستوى الشخصي قد قرأت لأحمد أمين كتباً أخرى، (منها سيرته الذاتية البديعة «حياتي» التي لم تنل ما تستحقه أبداً من قيمة وتقدير وشهرة.. لكن هذا حديث آخر)، وكنت قرأت شيئاً بسيطاً عن موسوعته تلك، لكن بغير توسّع ولا تفصيل، (مقال مهم كتبه المرحوم الدكتور شوقي ضيف عن «ضحى الإسلام»). وجاءت إشارة الدكتور حجازي، عليه رحمة الله، كي تحسم بداخلي قرار البحث عن هذه الأعمال والبدء في مطالعتها.

أحمد أمين

(2)

لحسن حظي، وحظ جيلي كله في هذه السنوات البعيدة من تسعينيات القرن الماضي، أننا شهدنا ميلاد مشروع (مكتبة الأسرة)، الذي ندين له بالفضل الكبير في تيسير الحصول على روائع الأعمال الأدبية والفكرية بأسعارٍ زهيدة ومناسبة.

وكان كتاب «فجر الإسلام»؛ وهو أولى حلقات بحث أحمد أمين حول تاريخ الحياة العقلية والفكرية للمسلمين، في طليعة الكتب التي ظهرت في هذا المشروع التنويري الكبير عام 1994، ثم ظهرت بقية الأجزاء تباعاً، فصدر «ضحى الإسلام»؛ في ثلاثة أجزاء على مدار ثلاثة أعوام (1997، 1998، 1999).. ولحسن الحظ أيضاً، فإنها جاءت مصورة عن الطبعة الأولى التي صدرت عن (لجنة التأليف والترجمة والنشر) التي كان يترأسها ويشرف عليها أحمد أمين نفسه.

وهكذا أتيح لي ولأبناء جيلي كله أن يقرأ هذا الأثر العظيم، وأن نعيد التذكير به الآن، ونعرف به لأجيالٍ جديدة بمناسبة صدور طبعة جديدة منه ضمن سلسلة (كلاسيكيات) التي تصدر عن الدار المصرية اللبنانية؛ وفيها تظهر هذه السلسلة مجموعةً مكتملةً للمرة الأولى بكامل حلقاتها وأجزائها التي تقترب من العشرة؛ طبعة جديدة، دققها وراجعها على طبعاتها المختلفة، وعلَّق عليها محمد فتحي أبوبكر، وقدّم لها الأكاديمي والناقد المعروف د. صلاح فضل.

(3)

لكن وقبل الشروع في الحديث عن «فجر الإسلام، وضحاه، وظهره، ويومه»، لابد من إشارةٍ مكثفة وسريعة إلى سيرة أحمد أمين (1886–1954) والتعريف به، لمن لا يعرفه من الأجيال الجديدة، فهذا الرائد النهضوي الكبير، كان أحد أضلاع المربع الذهبي في حياتنا الفكرية والثقافية المعاصرة (مع طه حسين، والعقاد، ومحمد حسين هيكل)، في النصف الأول من القرن العشرين.

المرحوم أحمد أمين (1886–1954م)؛ دون جدال، أحد أكبر العقول المصرية والعربية في العصر الحديث، ورائد بارز من رواد نهضتنا الأدبية والثقافية في النصف الأول من القرن العشرين، إنه مؤرخ الحياة العقلية والفكرية للثقافة الإسلامية منذ ظهورها، ومؤسس العديد من الأنشطة والمعارف الثقافية والمؤسسات التي نمت وازدهرت وتطورت فيما بعد على يد تلاميذه وطلابه، وإذا ذكر اسمه ذُكرت على الفور موسوعته الرائعة (فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، يوم الإسلام) التي أرّخ فيها لجوانب الحياة العقلية والفكرية والاجتماعية للحضارة الإسلامية، منذ ظهور الإسلام حتى القرن الخامس الهجري.

ويُقرن اسم أحمد أمين بأسماء عظماء جيله – طه حسين، محمد حسين هيكل، عباس محمود العقاد، أحمد حسن الزيات، مصطفى صادق الرافعي، توفيق الحكيم، وغيرهم – ممن حملوا على أكتافهم مهمة النهوض بثقافة وفكر هذه الأمة خلال الفترة الزمنية التي عاشوها، وأسهموا فيها إسهامات رائعة، متعددة ومتنوعة تنوع المجالات المختلفة التي رادوا فيها الطريق لغيرهم، ممهدين السبيل لمن أتى بعدهم لأن يكملوا ما بدؤوه (أو هذا ما نُقنع أنفسنا به الآن!).

ولد أحمد أمين في القاهرة في الأول من أكتوبر عام 1886، في أسرة محافظة تتمتع بقدر كبير من العلم والمعرفة، التحق بالمرحلة الابتدائية، ثم درس في الأزهر الشريف، ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي التي تخرج فيها عام 1907، وعين عقب تخرجه قاضياً شرعياً، ثم مدرساً بمدرسة القضاء،

ثم قاضياً في الواحات الخارجة سنة 1913، ثم مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية عام 1926، وظل مدرساً فيها، فأستاذاً، حتى تولى عمادتها، كما عين في عام 1946 مديراً للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، وكان أحمد أمين عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي.

تنوّع إنتاجه المعرفي تنوعاً كبيراً، حيث زاوج في تكوينه الفكري وتأسيسه الثقافي بين ثنائيات عديدة، كان لها مردودها البارز على تكوينه وثقافته.. فقد جمع بين ثقافة أزهرية عميقة وخالصة، وثقافة أوروبية حديثة حصلها بكده واجتهاده عن طريق تعلمه اللغة الإنجليزية، وكان قد جاوز الثلاثين حين بدأ في تعلمها.

واطلع اطلاعاً واسعاً مستوعباً على التراث العربي الإسلامي (وإسلامي هنا تشير إلى ما أنتجه المسلمون من فكر وحضارة وثقافة، سواء كانوا عرباً أو غير عرب، من الأجناس والأمم التي دخلت في الإسلام، وأسهمت في عطائه الحضاري، مثل الفرس، والترك، والروم، والهنود، والبربر... إلخ). كما اطلع على التراث الإنساني العالمي، ممثلاً في روائع الفكر والأدب والفلسفة، تلك الروائع التي أبدعها عمالقة الفكر والإبداع على مر العصور.

كما تلاقت فيه إشكالية (التراث/المعاصرة) بكل تجلياتها وأشكالها، وعلى كل المستويات بدءاً من زيه الأزهري التقليدي الخالص في بداية حياته، والذي غيّره إلى الزي الأوروبي الحديث، مروراً بتعليمه الذي جمع بين أطراف ثلاثة مثَّل كل طرف منها رافداً مهماً من روافد ثقافته وتكوينه.. فجمع بين التعليم الأزهري، والدراسة في مدرسة القضاء الشرعي – التي كانت تعد بمثابة نقطة التقاء بين التعليم الديني ممثلاً في الأزهر والتعليم المدني الحديث ممثلاً في الجامعة الحديثة – والتدريس بالجامعة المصرية الحديثة بكلية الآداب... وانتهاء بجمعه بين منهجين في الدرس والتحصيل والإبداع، أحدهما يمتد بجذوره إلى الثقافة العربية الإسلامية القديمة، والآخر يتصل اتصالاً وثيقاً بالثقافة الغربية الحديثة بكل تجلياتها...

وقد كان لكل هذه العوامل – السابق ذكرها – أكبر الأثر في إمداده بالقدرة التحليلية النقدية الفائقة التي تميز بها، والرؤية العقلانية المستنيرة المتوازنة التي جعلته علماً عليها ودليلاً ومرشداً. وقد برزت هاتان السمتان في كل أعماله ومؤلفاته، وبالأخص في عمله الموسوعي الضخم الذي نتناول تفصيلاً في الفقرات الآتية.

التدوين والتوثيق..
منعطف في طريق التراث

التدوين والتوثيق مرحلة مهمة من مراحل رسم خريطة التراث الشعبي لكل دولة، فالجميع يمتلك إرثاً زاخراً، والعمل على تدوينه وتوثيقه والحفاظ عليه هو المنعطف الأصعب، هنا تأتي مسألة أكون أو لا أكون.

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

هنا تأتي مسألة إحياء التراث ومحاكاته أو البقاء عليه منزوياً بعيداً يحتضر في هدوء حتى يلفظ آخر أنفاسه، هنا تأتي مرحلة التضافر، وتوحيد الجهود أمام نقل التراث من مرحلة الجمود إلى مرحلة الحركة، ومن مرحلة السكوت إلى مرحلة الكلام، هنا يلتقي الباحث مع الراوي مع التراث، لتبدأ أهم مرحلة في الحفاظ على التراث الشعبي، وهي مرحلة تسبق مرحلة التأليف في التراث، والتي سوف أتحدث عنها في مقال منفصل لأهميتها.

سوف أتحدث في ثلاث نقاط تحدّد مسار العمل المتقن والمحكم في طريق التدوين والتوثيق، وهذه النقاط هي:

- الخطوات.
- اللغة.
- الأدوار.

وقبل الحديث عن هذه النقاط سوف أوضّح أهمية التدوين والتوثيق، وقبل ذلك لابد أن نعرّف التدوين، والتوثيق، أمّا التدوين من المنظور اللغوي فهو: تقييد المتفرق والمتشتت وجمعه في ديوان، وبعبارة أسهل هو جمع المتفرّق وتقييده في كتاب واحد، أمّا التوثيق فهو حفظ الأحداث التاريخية والأدبية والمعلومات العلمية ونقلها إلى الأشخاص للاستفادة منها، ونعود إلى أهميّة التدوين التي تتمثل في جمع المرويات والمعلومات التراثية وحفظها بين دفتي كتاب واحد، ليس بالضرورة مؤلفاً متكامل الأركان، وإنما جمعه في مكان واحد، وانتشاله من الضياع والفرقة بين الصدور والسطور، أما أهمية التوثيق فتكمن في المحافظة على التاريخ والمواقع التراثية والأثرية، من خلال الحفاظ على الكتلة العمرانية باستخدام الأنظمة الحديثة التي توثّق التراث توثيقاً علمياً.

نعود على ذي بدء للحديث عن الخطوات التي تكون ناجعة في مسألة التدوين والتوثيق، والتي من شأنها أن تلقي بظلالها على النتائج الإيجابية لهذه المسألة، وتتلخص الخطوات في الآتي:

1. تطوير مهارات الباحثين المتخصصين في جمع التراث الشعبي.
2. الاستفادة من خبرات الباحثين المتمرسين في هذا المجال.
3. إقامة برامج تعليمية وتدريبية محددة في إطار الجماعات والمجموعات المعنية.
4. الالتقاء بالرواة والمعمّرين الذين يكتنزون في صدورهم الحكايات التراثية والتاريخ التراثي.
5. إقامة الدورات والندوات والمحاضرات واللقاءات العملية المتعلقة بالتراث المادي وغير المادي.

6. إقامة أنشطة لتعزيز القدرات في مجال صون التراث الثقافي.
7. استخدام الوسائل الحديثة المرئية والسمعية لنقل معارف التراث.
8. القيام بعملية تحديد وتعريف مختلف عناصر التراث الثقافي المادي وغير المادي في دولة الإمارات العربية المتحدة.
9. القيام بحصر التراث الثقافي المادي وغير المادي الموجود في دولة الإمارات العربية المتحدة.
10. عمل خارطة طريق للبحث المراد القيام به، ومن ثم تدوينه وتوثيقه.

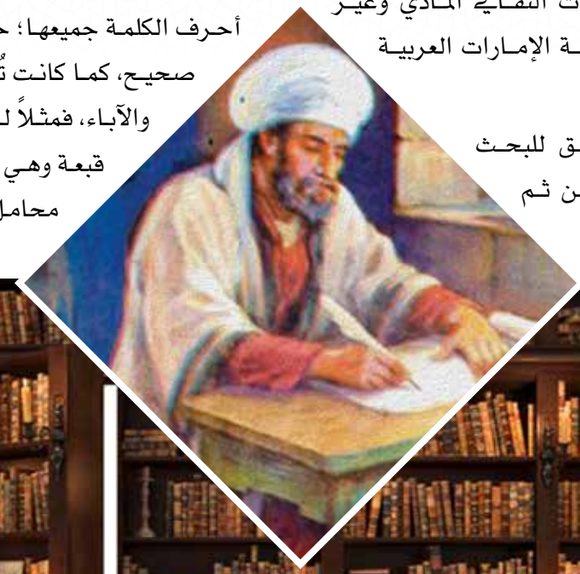

أما لغة التدوين فيجب أن تكون لغة مقاربة جداً للغة التراث المجموع، وكلما كانت اللغة قريبة من لغة التراث وقريبة من المصطلحات التراثية الأخرى، كان التدوين أكثر نفعاً؛ لأنه يدوّن اللغة التراثية المحلية ويوثّقها، وبالتالي يعمل على إحياء اللغة التراثية المحلية وإبقائها على قيد الحياة، فمثلاً لا نقول: صناعة السفن الخشبية، ولكن نقول: وَشْرَة المحامل، وهكذا، كما أنه من ضروريات اللغة أن يتم تشكيل أحرف الكلمة جميعها؛ حتى تتم قراءتها بشكل صحيح، كما كانت تُنْطق من قِبل الأجداد والآباء، فمثلاً لو نظر القارئ إلى كلمة قبعة وهي كوب الماء المستخدم في محامل الغوص، والمعمول من

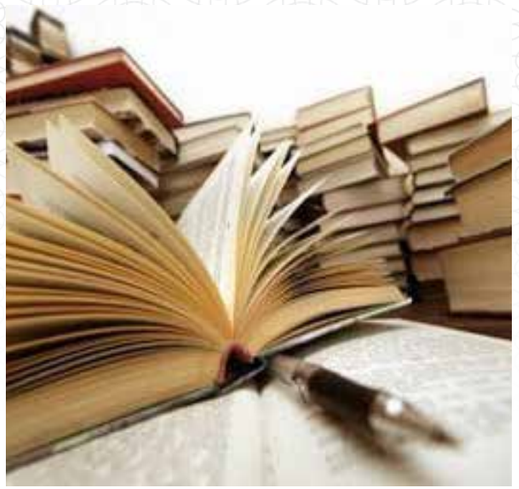

ثمرة جوز الهند بشكل نصف دائرة، فكيف سيقرأ هذه الكلمة؟! ولكن بعد التشكيل سوف تُقرأ بالشكل الصحيح، ويفضّل أن يكتب التشكيل كتابة مثل: بفتح الأول وسكون الثاني وفتح الثالث وهكذا، وأحياناً يقارب الكلمة بذكر أنها على وزن كلمة أخرى، ومثال ذلك كلمة جيب، والجيب هذا هو أصغر الأشرعة في المحامل، فتكون اللغة فيه هكذا: جيب على وزن ذيب، وبالتالي تكون قراءتها صحيحة.

أمّا الأدوار فهي آلية التنفيذ التي بها تتم عملية التدوين والتوثيق للتراث الشعبي؛ وهناك أدوار أوليّة تخطيطية تتبعها أدوار نهائية تنفيذية، أما الأدوار الأوليّة التخطيطية فهي:

1. اختيار الموضوع، حيث لابد من اختيار موضوع التدوين والتوثيق؛ حتى لا يتشتت الباحث في متاهات الجمع، ويضيع بين موضوعات التراث الكثيرة والمتنوّعة، ويتم التركيز فقط على الموضوع الذي تم اختياره.
2. تحديد المحاور، فلكل موضوع محاوره الخاصة به، فهناك التراث المادي، وله محاوره وجوانبه التي تثري عملية الجمع والتدوين، وهناك التراث غير المادي، ويضم بين جنبيه كثيراً من التراث، ولكل نوع له أصوله وطرائقه ومحاوره، ولكي تسهل مهمة المدوّن عليه تحديد المحاور.

ثم ننتقل إلى الأدوار النهائية التنفيذية، وهي:

1. المقابلات وجمع الروايات، فعلى الباحث معرفة أين يجد ضالته في بحثه الذي يريد تدوينه وتوثيقه، فالرواة وكبار السن كلٌّ يحمل في صدره جزءاً من التراث، فالذهاب إلى الراوي صاحب المعرفة في نوع التراث المراد تدوينه، ومقابلاته هو اختصار للوقت والجهد، إضافة إلى الوصول إلى المعلومات الدقيقة والصحيحة عن المادة التراثية.
2. تفريغ المادة التراثية في كتاب واحد؛ والذي يُعَدّ الأساس الأول للتأليف في مرحلة قادمة.

حكمة أيسوب وفكاهة جحا

لـم تكـن الثقافـات الإنسـانية وحضاراتهـا عامـة، والثقافيـة الغربيـة بشـكل خـاص، بعيـدة عـن بنـاء حكايـات، وقصـص ومرويات، تعبر عـن توجهات أو فلسـفات أو بعـض الأفـكار، أو تسـهم فـي بلـورة بعـض المبـادئ والحكـم التي تسـير حياة البشـر، وإذا كان جحـا فـي الثقافـة الشـرقية عامـة، والعربيـة على وجـه الخصـوص، فهنـاك فـي الغـرب شـخصيات اختلـف حولهـا المؤرخـون والبحاثـة، إن كانـت شـخصيات حقيقيـة أو متخيلـة أوجدتهـا لـك الثقافـات.

د. فهد حسين
ناقد من البحرين

فعبـر التاريـخ والحضـارات ظهـرت شـخصيات تميـزت بفعـل مـا، أو مواقـف معينـة، أو غيـر ذلك، وإن تباينـت حولهـا التكهنـات، حيـث كان في الغرب، كمـا بـرزت في الغـرب شـخصيات اتصفـت بالدماثة والضحـك والتسـلية، أو بالحكمة والموعظـة والعبرة، وتقـديم المبادئ الأخلاقيـة، مثل: غابروفو المحبوب في بلغاريا، وشـخصية أرتين ولسـانه السليط في أرمينيا، وشـخصية آرو الـذي وصف بالمغفل في يوغوسـلافيا، وغيرهـا مـن الدول.

ولكـن لايـزال الأمر مبهماً في أسـبقية وجود مثل هذه الشـخصيات بعضها عن بعض، وتبقى أهم شـخصية تاريخيـة في الغـرب، هـي: أيسـوب، تلك الشـخصية القادمـة من الحضـارة اليونانيـة المعروفة بفلسـفتها وأفكارهـا وتوجهاتها التنظيرية تجاه الإنسـان والكون والحياة، هذه الشـخصية التي اختلـف حول حقيقتها المؤرخون، إذ هناك من قال إنها شـخصية أسـطورية، وفقـاً لمـا كانـت الحضـارات القديمـة تعيـش الواقع آنـذاك، وفق تطلعـات الآلهة المتعددة المهـام والأدوار، وهنـاك مـن أشـار إلـى أنهـا شـخصية مختلقـة، فرضتهـا الظـروف الموضوعيـة في تلك الفتـرة، التي تتطلـب البحـث عـن شـخصية تعلـق عليهـا بعـض الأفـكار والتوجهـات، ولكـن أبـا التاريخ (هيـرودوت) أشـار إلـى أنها شـخصية حقيقية، عاشـت في القرن السـادس قبـل الميلاد.

وبعيـداً عـن حقيقة أو متخيل أو أسـطرة شـخصية أيسوب، فإننا هنا نقف موازنين بين هذه الشخصية،

والشـخصية التي حفـرت في ذاكرتنا الشـعبية نفقاً ملـئ فكاهـة وضحـكاً، هـي شـخصية جحـا التي اختلـف عليهـا أيضـاً من حيـث وجودهـا، ومكانها، والثقافـة التـي انحـدرت منها، فهل شـخصية جحا عربية أو تركية أو فارسـية؟ هناك من سـعى ليعطي هـذه الشـخصية اسـماً أو كنية، وكأنهـا كانت واقعاً اجتماعيـاً وتاريخيـاً، حيـث أطلـق عليها اسـم: أبو الغصن دجـين الفزاري، وحددت فتـرة وجوده، وهي مرحلـة الدولـة الأمويـة، وجعلها شـخصية عربية، تميـزت بالنكات والفكاهـة والضحك، وهذا يعني أن جحـا عاش بين القرنـين الثاني والثالـث الهجريين، لكـن في هـذه الفترة لم تبرز النـكات والفكاهة بقدر مـا كانت الحيـاة الثقافية والأدبيـة تتصف، كما جاء مـا أخذتـه مـن العصر الـذي سـبقها؛ أي عصر ما قبـل الإسـلام (العصـر الجاهلـي)، ومـا يؤكد ذلك طبيعة الشـعر الذي لـم يتفرع بالشـكل الذي حدث في العصر العباسـي، عدا ظهـور النقائض، واختفت هـذه الظاهـرة تدريجيـاً بانتهـاء مرحلـة الشـعراء الثلاثـة (الفرزدق وجريـر والأخطل).

وهناك من يعتقد أنه شـخصية برزت في أواخر العصر العباسـي، بدليـل أنها التقت تيمور لنـك الذي ظهر في العراق ثم في الشـام بسـقوط الدولة العباسـية! وبعيداً عـن هذا الظهـور، فإنـه ظهـرت في العصر العباسـي طبقـة العيارين والشـطار، وبـرزت فيه المقامـات التي تنتقـد الأوضـاع السياسـية والاجتماعيـة آنـذاك، من

خـلال مواقـف لأنـاس تتصـف بالسـذاجة مـع بـروز العيارين أنفسـهم، كما اشـتهر العصـر أيضاً بمجالس الطرب والغناء وانتشـار الفكاهة، غير أن هذا النسـب لـم يقف عنـد العرب، وإنمـا ذهب نسـبه أو أصله إلى التـراث التركـي، تحت اسـم نصر الديـن خوجة، الذي عـاش في فتـرة المغـول، وهـو ما يؤكـده الـرأي الثاني في الثقافـة العربيـة، وهنـاك مـن نسـبه إلـى التراث الفارسـي، تحت اسـم مـلا نصرالدين، ومع شـخصية جحـا بـرزت بعض الشـخصيات هنا أو هنـاك، وإن لم يكـن أثرهـا وصيتها كمـا كان لجحا، وهي شـخصيات اشـتهرت بحماقاتهـا، مثـل: هبنقـة بـن ثـروان، وأبي غبشـان الخزاعي، وعبدالله شـيخ مهو، وربيعة البكّاء، وعجل بن لجيم، وحمزة بن بيض، وأبي أسـيد، ومزبّد، وجامـع الصيدلانـي، وأزهر الحمار، وابـن الجصاص، وهـو مـا يؤكد أن المجتمع الإنسـاني وثقافتـه تفرضان وجـود مثل هذه الشـخصيات.

ومهمـا كانت هـذه الشـخصيات التـي ذاع صيتها في الثقافـات عامـة، أو التـي لـم يعـد لهـا ذكـر إلا في المصـادر والكتـب، فـإن كل المجتمعـات الإنسـانية لا تخلـو مـن هذه الشـخصيات التـي يحتاجهـا المجتمع تحـت أهداف مختلفة؛ لأن تقـديم النقد يحتاج أحياناً إلـى شـخصيات تلهـم النـاس، ولديها قـدرة الإقناع، وهنـاك مـن سـجل ذلـك ليكـون مصـدراً للدراسـة والبحـث، مثـل: كتـاب البخـلاء للجاحـظ، وكتـاب الشـطار والعيارين لمحمـد رجـب النجـار، وغيرهما مـن الكتب التي تناثرت فيهـا قصص وحكايات تخص الشـخصيات ذات الملامح والصفـات المماثلة لجحا أو أيسـوب أو البهلـول أو غيرهـم، وهـذا ما سـعت إليه الثقافات الإنسـانية، فإذا كان جحا قد أبرزته الثقافة الشـرقية، فـإن الثقافـة اليونانية صنعت مـن متخيل حضارتهـا وفلسـفتها شـخصية أيسـوب التـي دارت حولهـا الحكايات والأقوال والأفكار، وهنا يشـير إمام عبدالفتـاح إمـام، في كتابه (حكايات أيسـوب) إلى أن «الحكايـة الخرافية تختلف عـن الروايات والقصص، بأنهـا خياليـة، وليسـت تاريخيـة، كمـا تختلـف عـن الحكـم والأمثـال والحكايات التي تـروي المغامرات أو الأحـداث العجيبة، بأنها تؤكد الذكاء العملي، وتشـدد عليـه» (ص16)، ولكـن مـا الفرق بين الشـخصيتين؟

أيـاً كان أصـل جحـا، والفتـرة الزمنية التي عاشـها، فـإن النـكات والمواقـف التي نسـبت إليه كانـت تعبر عـن طرائـق الممارسـة الاجتماعيـة العفويـة المؤديـة إلـى تخلـص المـرء مـن مواقف تـكاد تكـون محرجة، ومـع تواتر المواقـف والحكايات، بـدأت عملية الزيادة والنقصـان، وإضافـة العديـد مـن المواقـف باسـم: جحـا قـال، صار لجحـا كذا، مـر جحا، دخـل جحا، وهكـذا، وهنـا لا ننـس دور الحكواتـي في تكوين هذه الحكايـات، وتجميلهـا للمسـتمع، بعـد الإضافـات، والمزيـد مـن الحكايـات التـي لـم يـأت بهـا التاريخ؛ إذ بحكـم طبيعـة المجتمعـات، وظروف الأفـراد، فإن حضارتهـم وثقافاتهـم تحـاول أن تضفـي بـين الحين والآخـر على هـذه المجتمعـات بعض الأنـس والفرح، بطريقـة عفوية تكشـف عـن أهمية التـراث في صنع تاريـخ الإنسـان. هكذا بـرز العديد من الشـخصيات الكوميديـة والشـخصيات الجادة والشـخصيات التي تميـزت بنوع من العبارة والشـطارة، وذلك لأن الثقافة التـي كانت تبنـي الحكايـات المتخيلة تكون شـفاهية،

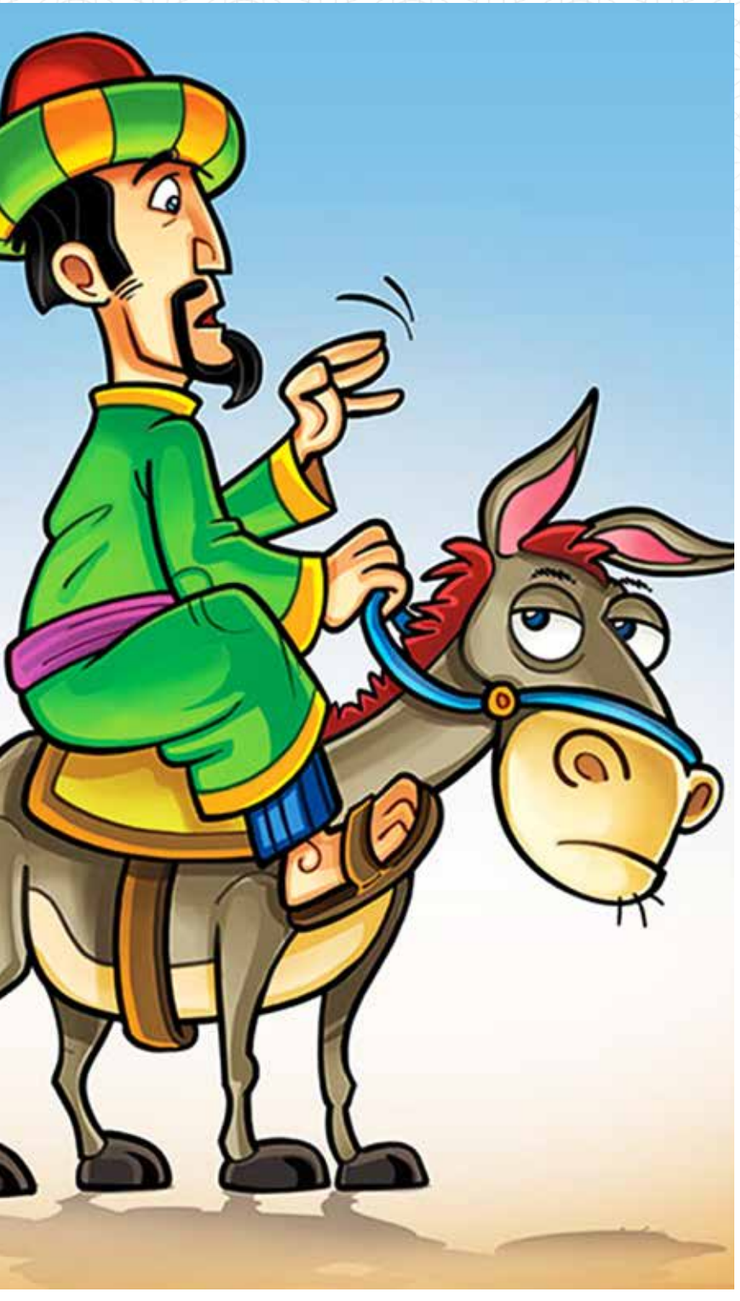

ولكنهـا تحتـاج إلـى قائـل، فخلقـت في المخيال الشـعبي آنذاك هذه الشـخصيات.

ومـن المؤكـد هنـاك مصـادر حفظـت في سـجلاتها حكايـات أيسـوب، وهنـاك في الطـرف الثانـي مصـادر ذكرت شـخصية جحـا: الحافـظ والشـيرازي والسـيوطي وابـن الجـوزي والذهبـي والميدانـي، وجل مـا ذكـر عنـه لا يخرج عـن علاقـة جحا بالحمـار، أي كان جحـا راكبـاً حمـاراً... ضـاع حمـار جحـا... نـام جحـا دون أن يربـط الحمـار... جحـا يقود الحمـار... جحـا والحمير العشـرة، وهنا نتسـاءل لمَ حُصـر جحا بالحمار، هـل لأن الحمار هو الدابة الرئيسـة كوسـيلة مواصـلات؟ هل لأن الحمـار صبور علـى حمل الأثقال؟ هل لأن العـرب ليـس لديهـم حيوانـات يمكن توظيفهـا في حكايات جحا كما في حكايات أيسـوب؟ هـل هنـاك ارتبـاط بـين هـذا الحيـوان وتلـك النـكات والحكايـات؟ هل لأن ثقافتنـا تقف عنـد النكتة دون الخروج عليهـا؟ هنا أسـئلة كثيـرة تثيرهـا المخيلة والتفكيـر حينمـا نجـد الفارق كبيـراً بين تكوين الشـخصيتين الثقافي والاتصالي مع النـاس؛ أي كان تواصـل أيسـوب عادة مع عليـة القـوم التي هـي تطلبه لحـل بعض المعضـلات، أمـا جحـا فكانـت علاقتـه الأكثـر مـع عامـة النـاس والبسـطاء. أما في حكايـات أيسـوب، فالأمـر مختلـف

تماماً، إذ تدور حكاياته حول مجموعة من الأفكار والحكم والمبادئ الأخلاقية ذات الوعظ والتفكر عبر متخيل يحفز المتلقي على الاستماع، خاصة أن هذه الحكايات تعتمد في توظيفها على حيوانات تختلف عن الحمار الذي وظف في حكايات جحا، وهي: الأسد، الثعلب، الذئب، ومن تلك التي ذكرت مثلاً: الثعلب والعنب، الثعلب والأسد وكيفية استدعاء الحمار، الثعلب والغراب، فلماذا الحمار الحيوان الملازم لحكايات جحا، والثعلب هو الملازم لأيسوب؟ هل الفارق في قدرة التفكير؟ هل على طبيعة الخداع ونسج الحكاية المخادعة؟ هل على التوجه المختلف لدى حكايات الشخصيتين؟

وأخيراً نقول: ربما كلا الشخصيتين تفتح طريق التفكير والتأكيد على الأخلاق والقيم، ولكن الثقافة الغربية عامة، واليونانية خاصة، كانت لا تؤكد على ما ذكر من قول، بل على من قال هذه الحكم وهذه الأقوال وهذا الإرشاد، ومن نادى بها، حيث النظر إلى القائل آنذاك يشكل عتبة مهمة في قناعة ما يقول، ولأن في ثقافتنا العربية كنا ولانزال ننظر إلى شخصية جحا في ظرفها، وحيلها، وبساطتها، وإلى دابته التي يركبها، وهذا يعني أن كل ما يصدر عنه يكون في سياق الفكاهة، ولا ننظر إليه في سياق الفكر والمعرفة، بل اختلقت ثقافتنا الشعبية والشفاهية كثيراً من النكات عن جحا، رغبة في المزيد من الاستئناس والضحك؛ لذلك حتى وقت قريب كانت مدارسنا تقدم حصص النشاط التي تتخللها قص حكايات لجحا بين الحين والآخر، في سياق النكات والظرافة والتندر، أما حكايات أيسوب، ففيها الدعوة للتفكير والتأملات، وفرص الأسئلة، ومناقشة قضايا معقدة؛ لذلك نحت كل الحكايات تقريباً نحو البعد الفلسفي، حتى رأى بعضهم أنه فيلسوف.

غنيّة وتحب الهديّة

د.محمد الجويلي
أكاديمي – تونس

يقول أحد الأمثال الشعبية العربيّة: «غنيّة وتحب الهديّة»، بمعنى أن أيّ شخص يرغب في الهدية، حتى وإن كان ليس في حاجة لها، وذلك لقيمتها الرمزية والاعتباريّة، وما تتضمنه من تقدير ومحبة، وما تعنيه من اهتمام بمن نهديه شيئاً ما، ولو كان بسيطاً، لعلّ أفضل ما يجسّد ذلك هو الوردة، كناية عن المحبّة والودّ. لا تنفصل الهدية من الناحية الأنثروبولوجية عن الهبة والعطاء، ولا يمكن فهمها خارج نظام التبادل الاقتصادي والرمزي، فهي عربون وفاء، أو ردّ جميل، تترجم معاني الحب والاحترام، والصداقة والشكر، والثناء والعرفان. ورغم اختلاف طبيعة الهدية وقيمتها، وظرف إعطائها، ظلت – كما يقول عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي ستروس – واحدة من ثلاث عمليات تبادل تحكم العلاقات الإنسانية منذ تكوّنها؛ اللغة حيث نتبادل الكلمات، والقرابة في تبادل الزيجات، والاقتصاد حيث نتبادل الهدايا والأشياء. يُربّى الأطفال في جميع أنحاء العالم على قيمة المحبّة بالهدايا، لاسيما في الأعياد، وتعدّ هدية العيد أو (العيدية)، كما تسمّى في بعض الجهات في المغرب الكبير، شكلاً من أشكال الهدايا التي تمنح للأطفال؛ من أجل إدخال الفرح والسرور في أنفسهم، واحتفالاً ببهجة العيد، وقد تكون هذه الهدايا في شكل نقود، أو لعب تُعطى للأطفال عند زيارتهم بيوت الأقارب والجيران.

وكثيراً ما ترتبط الهدايا في الثقافة العربية بالزواج، باعتباره أهمّ طقس للعبور ينظّم الوجود الإنساني، ويضمن تواصل النوع البشري. وما يلفت الانتباه أن هدية الزوج أو أهله إلى الزوجة غالباً ما تكون في المجتمعات العربية من الذهب، وتسلّم ضمن طقوس احتفاليّة. وهو ما يتوافق مع المعنى اللغوي للهدية، فقد ورد في «لسان العرب»، أنّ معنى هدى يهدي العروس إلى بعلها زفّها إليه – والهدية: العروس، وما أتحِف به؛ أي بُعث به إكراماً أو تودداً – والمهداة والمهديّة: العروس زُفّت إلى بعلها. فتصبح العروس هدية، وهي الهدية التي ينتظرها الرجل، وإنْ كان هو كذلك يُعدّ – حتّى وإن سكت «لسان العرب» عن ذلك – هديّة لعروسه، وهو ما نجد له صدى في عادات العرس في بعض المناطق العربيّة، حيث تسمّى الليلة الثانية من ليالي الاحتفال، وقبل يوم العرس بليلة الهدية، وهي أن يأتي أهل العريس بالهدايا إلى العروس. فالعروس الهدية والمهداة تهدى إليها الهدايا، وهي هدية للرجل، وليتحصل على هديته الثمينة لابدّ أن يقدّم لها هدايا، وهو نوع من التبادل المعنوي الرمزي والمادي كذلك.

مدن ومعالم صومالية

في أراجيز ابن ماجد

(الجزء الثاني)

عمر عبدالله إيدان
كاتب وباحث – مراود

تزخر سواحل الصومال بمدن ومعالم تاريخية، أُسّست في أزمان غابرة، تناولنا بعضها في المقال الأول، ونتناول في هذا المقال الجزء الثاني في هذا الموضوع، فنقول إن تجربة ابن ماجد وخبراته في البحار هي التي قادته إلى اكتشاف سواحل الصومال وخليج بربرا (خليج عدن حالياً)، سافر لأجل هذا الموضوع، رغم أن المعلومات التي كتبت عن ساحل الصومال تعدّ أقل مما كتبَ إذا ما قورنت بكتاباته الجغرافية والملاحية الأخرى.

قال ابن ماجد في المعربة:

إني قد سافرتها بالعمد
ما لي قصد غير هذا القصد
إن لم أكشفها بجهدي
من ذا الذي يسطو عليها بعدي[1]

كانت مدن ومحطات وجزر الصومال مما ذكر ابن ماجد في أراجيزه، ولها أسماء صومالية خالصة، وذكرت أنا اسم المدينة أو الجزيرة كما وردت في الأرجوزة، وكما هو معروف لدى الصوماليين مع كتابتها باللغة الصومالية.

1: القرنتين Ceel Garde

القرنتين هي قرية صغيرة قديمة، تقع بين مدينتي بربرة وسيارة (زيارة)، طغت عليها الرمال التي تحملها الرياح منذ نحو مائة عام، فدفنت المدينة القديمة، أما اليوم فتتكون مساكن القرية من أربعة بيوت حجرية وطينية، وأكواخ متنقلة (كوخ الرعاة)، والمتبقي

القرنتين

عرشان تقع فوق تلة رملية تطل على شاطئ البحر، هذه القرية كأنها أقرب إلى مدينة سيارة، وتشاهد جبال مدينة سيارة وشجرتها الكبيرة التي ينام تحتها الصيادون، وذلك عندما تكون في ساحل القرنتين.

والقرنتين أيضاً مع سيارة الكل في زامين بالإشارة
وبربرة على قدر زامينِ كمثل ذا صدق بلا مين[2]

2: مدينة ميط Maydh

مدينة ميط هي مدينة تاريخية قديمة، تقع في إقليم سناج في شرق أرض الصومال، وهي مدينة ساحلية، لقد مرّ رحالة البرتغالي باربوزا هذه القرية القديمة، ووصفها بقوله: (عندما يدور المرء حول رأس غارادافوي هذا، متجهاً نحو البحر الأحمر، يصبح قريباً جداً من قرية مسلمة تدعى مايت، حيث يتوافر هناك كثير من اللحوم، ولكن ليس ثمة كثير من النشاطات التجارية هنا).[3]

قرية مايت التي ذكرها هي مدينة ميط، كانت تذبح المواشي في مناسبات معينة، لكثرة المزارات التي فيها، وتسمى هذه المدينة، مدينة الأجداد؛ لأن

مدينة ميط

هناك قبر الشيخ إسحاق، أبو القبيلة الإسحاقية، كبرى القبائل في أرض الصومال، وقبره معروف هناك. ومدينة ميط كانت من ضمن المدن التي ذكرها ابن ماجد:

منها إلى الرأس معاً وميطا
مغرب حمارين فكن محيطاً

إلى أن قال:

وإن شئت أن ترسى به أو تدخلا
لنحو ميط فاستقي وعجلا
لأن بالأزيب والبنات
مكشوفة ولا لها ثبات

يعني إن شئت أن ترسو بها، أو تدخل بندر ميط، فخذ منه ما يلزمك من الماء العذب، وأسرع في الخروج منه.[4]

3: مدينة بعاض Bacaad

بعاض قرية صغيرة قديمة، كان يرتادها الصيادون، تقع بين مدينتي برع وقندلة، وتبعد عن مدينة بوصاصو 75 كيلومتراً تقريباً في الساحل، هذه القرية هي من المدن التي انفرد بذكرها ابن ماجد، لم يذكرها جغرافي عربي قبله، ولكن للأسف لم يعط لنا ابن ماجد تفاصيل أكثر، ما عدا ذكر اسمها فقط، وكذلك جرى في أكثر المدن الصومالية

الساحلية لدى ابن ماجد، كما ذكرنا.

قال ابن ماجد:

الشحر من بعاض تحت الجاه
هي ديرة صحت بلا اشتباه.[5]

وقال أيضاً:

بُعاض أيضاً وكذا في الهجره
جاه أربعٍ وربعٍ ياخي مُحصَرَهْ[6]

أول ما يلقاك في مجراك جبال دباغات الخور ثم الكحل ثم مدينة بعاض، وفي مقابلة بعاض مدينة الشحر على ساحل اليمن الجنوبي، ومجرى بعاض والشحر في اتجاه الجاه.[7]

4: بندر فيلك Xaabo

بندر فيلك مدينة قديمة كانت مزدهرة وعامرة، كانت تنتج المر والبخور والكندر، وتتاجر في جميع أنواع البخور قبل مولد عيسى، عليه السلام، وذاع صيتها في بداية الألفية. يسميها الصوماليون اليوم (حابو ـ Xaabo)، تقع بندر فلك في شرق الصومال قرب رأس جردفون، أما رأس فيلك فيقع جنوب بندر فيلك بخمسة أميال، ويوجد عند المدينة وادٍ يسمى خور الفيل، الذي يصب عندها، يراوح عمقه تقريباً بين 4 و8 أقدام، ويزخر مجراه بالمستنقعات وأشجار المانجروف، ويقع رأس الفيل شمال هذا الخور، وله شكل الفيل الرابض إذا شوهد من بعيد، ويبلغ

مدينة بعاض

بندر فيلك

ارتفاعه نحو 300 متر فوق سطح البحر، ويظهر للقادم من ناحية البحر على بعد خمسة وعشرين ميلاً تقريباً، كان هذا الرأس مشهوراً في الأزمان الغابرة، سجلها الجغرافيون اليونان في كتبهم.

وقد وصف أسترابون رأس فيلك وخور فيلك ومنتجاته من البخور والمر والقرفة بقوله: (... والوادي الذي يدعى وادي أبولو، والذي ينتج بالإضافة إلى البخور والمر والقرفة، تكثر الأخيرة في أماكن بعيدة في الدّاخل، وبعده يقع جبل إيليفانت الذي يبرز في عرض البحر، ثم قناة، ثم ميناء كبير يدعى ميناء بسيغاما، ومورد ماء يدعى بئر الكينوكيثاليين)[8]. يعتقد الباحثون أن الوادي الذي يدعى أبولو هو ما يسمى اليوم خور فيلك، الذي يقع قرب بندر فيلك (مدينة حابو)، ويقع بعد الخور جبل مشهور في رأس فيلك، هو جبل إيليفانت الذي يبرز في عرض البحر.

كلمة فيلك مركبة من مقطعين، هما فيل، وهي كلمة عربية، والـ(ك) أداة تعريفية للمذكر المفرد في اللغة الصومالية، واستعارة الكلمات العربية، وإضافة أدوات التعريف الصومالية، أمر شائع في اللغة الصومالية.

يقول ابن ماجد وهو يتحدث عن رأس فيلك:

لفيلك واجر بها زامين

أربع شروح تقطع بالتمكين

حتى ترى الشورى قرب فيلكه

أبعد عن البر وعنك اتركه

وفيلكه الجاه عليه أربعة

ونصف قد جربته فيه سعة

هي جبلة موصولة بالبر

تضربها الأمواج بشط البحر[9].

ومرة أخرى قال:

واجر من فيلكه في التير

إلى هجرات أيها النحرين

اثني عشر زاماً بريح أزيب

شديد صافي لا تكن مكذِّبي[10]

5: مدينة جرديل

أورد ابن ماجد في بيت يحدد الهيراب الأخير في منطقة السِّيف الطويل، وعند ذلك يذكر مكان يسمى جرديل، وبتتبع المنطقة جغرافياً اتّضح لنا أنه يقصد مدينة حرردير، التي كتبها جرديل.

وأخر الهيراب يا ربّاني

ففي جرديل بذي المكان[11]

6: جزيرة براوة Jasiiradda Jillaani

جزيرة جلّاني هي جزيرة كبيرة، لها تاريخ عريق، بناها الإيطاليون جسراً يربط بين الجزيرة ومدينة براوة، له سكة حديدية يستخدمها القطار، ثم بنوها منارة يهتدي إليها البحارة، في أثناء الحرب العالمية الثانية تم تدمير الجسر بأكمله من قبل القوات البريطانية. وهذه الجزيرة ذكرها ابن ماجد حيث قال:

جزيرة براوة

ترى على بندرها جزيرة

منعزلة عالية كبيرة

بندر بكلِّ ريِّح عند العارف

إفهمْ صفاتها ولا تخالفِ

فَدُرْ من الجزيرة واطرح بها

والناس تأتي قبل أن تأتيها[12]

أي سترى جوار مدينة براوة جزيرة منعزلة، وإذا كانت الريح ملائمة فاستدر حول الجزيرة واطرح المراساة في براوة.

7: جزيرة حيس Macajalaynka

جزيرة حيس جزيرة جبلية تقع في البحر، وكان أول ذكر لها في بداية القرن الأول الميلادي، عندما سجلها بريبلويس في مذكراته، حيث كانت هذه الجزيرة النقطة التي عرفها الباحثون مدينة مندوس التي وردت مذكرات بريبلوس، وهي مدينة حيس الصومالية، وتسمى جزيرة حيس اليوم بـ(معجلين).

قال ابن ماجد:

ترى جزيرة حيس في اليسار

بندر أزيب أيها البيطار

عالقة للبر ما بينهما

سوى المخاضة فافهم شرحها

وبعدها شعوب مع واديها

والرمح قد قام على غربيها

8: جزيرة ميط Buurta Rabshiga

جزيرة جبلية تسمى ربشي، تقع في البحر، وتبعد ميط 30 كيلومتراً تقريباً، تقع هذه الجزيرة في الجهة الشرقية لمدينة ميط، وتحدها المياه من جميع الجوانب، وهي عبارة عن جبل يبلغ ارتفاعه نحو 170 متراً.

تجتمع هناك في كل سنة ملايين الطيور، وكانت السفن العربية ترسو قرب الجبل في موسم الطيور، لجمع فضلات الطيور البحرية، كان يعيش في الجزيرة مجموعة من الرجال، هدفهم جمع فضلات الطيور لبيعها في موسمها، ويوجد في الجزيرة خمسة كهوف كبيرة، كانت مأوى لسكان الجزيرة الذين يشتغلون في جمع فضلات الطيور وبيعها. هذه الجزيرة ذكرها ابن ماجد في أرجوزته المعربة:

من الكثيب تنظر الجزيرة

كمثل فحل مسقط الشهيرة

يأخذ فيه الاراس شط البحر

إن كنت في المرسى فاعلم وادر

جزيرة حيس

جزيرة ميط

1- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) - تحقيق وتحليل - إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة، ط3 2010، ص 155.

2- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) - تحقيق وتحليل - إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة، ط3 2010، ص 162.

3- رحلة بالغة الأهمية، المخطوطة الكاملة لكتاب دوارتي باربوزا 1565م، إعداد: الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، نشر مشترك بين مجمع العلوم والآداب، دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة وكلية التاريخ والجغرافيا، أكاديمية العلوم، لشبونة، البرتغال، الناشر: منشورات القاسمي، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2017م، ص 32.

4- حسن صالح شهاب، البعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر، سلطنة عمان وزارة التراث والقومي والثقافة، ط1 1994. ص 280.

5- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) - تحقيق وتحليل - إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة، ط3 2010، ص 159.

6- المصدر نفسه.

7- المصدر نفسه.

8- سترابون، الجغرافيا في سبعة عشر كتاباً، الكتاب السادس عشر، ترجمة: د.حسّان مخائيل إسحاق، دار علاء الدين ـ سوريا ـ دمشق ـ جرمانا ـ ط١: ٢٠١٧، ص ٣٣٤.

9- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) - تحقيق وتحليل - إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة، ط3 2010، ص 158.

10- المصدر نفسه، ص 159.

11- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد)، تحقيق: إبراهيم خوري، إصدار مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة ـ الإمارات العربية المتحدة، أرجوزة السفالية، ط 3 2010. ص 20.

12- أحمد بن ماجد شعره الملاحي (الأراجيز والقصائد) - تحقيق وتحليل - إبراهيم خوري ـ مركز الدراسات والوثائق ـ رأس الخيمة، ط3 2010، ص 29.

لنبدأ في تحويل قاعات الدرس إلى معامل ومختبرات

الحضارة العربية والإسلامية قدّمت للبشرية الكثير من العلوم والمخترعات والمبتكرات الملهمة، ولم تكن في معزل عن الحراك العلمي والإنساني؛ لذا نجدها بادرت بإنشاء الجمعيات العلمية والأكاديميات واهتمت بها،

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

في الحقبة الممتدة من منتصف القرن العاشر الميلادي إلى منتصف القرن الحادي عشر، كانت الدراسات والأبحاث العلمية من قبل العلماء العرب في أزهى صورها، بسبب وجود مراكز علمية عدة، أهمها بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة هارون الرشيد، والذي تميز بوجود الكتب المترجمة عن اللغتين الفارسية واللاتينية وغيرهما، وتعدّ أول جمعية علمية إسلامية، حيث لجأ إليها المعلمون والطلاب والعلماء على حد

السواء، بحثاً عن المعرفة والثقافة، وأيضاً مكتبة دار العلم، التي ضمّت أكثر من عشرة آلاف مجلد، وكانت تعدّ مركزاً ثقافياً يلتقي فيها العلماء للقراءة والبحث، ويتم عقد كثير من المناقشات والمناظرات التي يسفر عنها كمّ غزير من الآراء والأفكار الخلّاقة، وغيرها كثير من الدور والمكتبات والحلقات.

عندما كثرت هذه المراكز العلمية، ووجدت الدعم المادي والمعنوي، والحفاوة والاهتمام، نهضت الحضارة العربية، وظهر كثير من العلماء العباقرة الذين لهم الفضل في ازدهار شتى العلوم وتطورها، كجابر بن حيان، الذي أسس علم الكيمياء، أو الرازي والزهراوي اللذين أضافا إلى الطب من المعرفة والعلوم بشكل مهول، حتى إنه أصبح يدرّس باللغة العربية، بل اعتبرت كتب العلماء العرب ومؤلفاتهم مرجعاً ومنهجاً للجامعات الأوروبية. اليوم نشاهد الصروح العلمية في مختلف عواصم العالم العربي ومدنه، كليات بل مدناً جامعية، ومع هذا نلمس تأخراً معرفياً في العديد من البلدان العربية دون تعميم، بل نلاحظ وجود فئات تحمل أعلى الشهادات العلمية، لكنها أبعد ما تكون عن الإبداع والتميز والاختراع، وفي بعض البقاع من الوطن العربي ينصب اهتمامها على إنشاء صروح علمية كاملة، تهتم بالجوانب الدينية فقط، وتغفل وتهمل الاهتمام بالعلوم التطبيقية والإنسانية، وهناك جامعات كبرى وظيفتها فقط الاهتمام، وتخريج المزيد من الشباب والفتيات من تخصصات لم يعد لها حاجة في سوق العمل. من هذه الجزئية بات واضحاً أن ما نحتاج إليه في هذا العصر، وتكملة لهذا الجهد أن يتم تطوير آلية تقديم العلوم، والاهتمام بالتخصصات النادرة، والأكثر فائدة للناس والتركيز عليها، يجب أن يكون تعليمنا مبنياً على التجربة، وبناء النظرية، ومحاولة إثباتها، ونبدأ في تحويل قاعات الدرس إلى معامل ومختبرات، إذا كنا نريد مسابقة الأمم في مضمار الاختراع والابتكار والتميز.

لقد بات واضحاً أن التعليم الذي يقوم على التلقين والحفظ لا يؤسس معرفة حقيقية، ولا تستطيع أي أمة البناء أو الاعتماد عليه، وهذه الجزئية تنبه إليها العديد من المفكرين والباحثين العرب منذ سنوات طويلة، بل دعوا مراراً وفي مؤلفاتهم إلى الالتفات إلى المنهاج الدراسي، وطرائق التدريس في الوطن العربي، وأهمية تطويرها، وإطلاق الملكات الفكرية والعقلية للتلاميذ للإبداع والتخيّل، ومن هذه الأقلام الفكرية التي أولت هذا الجانب الاهتمام الدكتور محمد عابد الجابري، في كتابه الصادر في عام 1989م، بعنوان: «إشكاليات الفكر العربي المعاصر»، جاء فيه: «إن تعليماً يقوم على التلقين بدل البحث، ويعتمد الذاكرة بدل الفهم، والتسليم بدل النقد، وممارسة السلطة بدل تحريك المواهب وتشجيع المبادرات... إلخ، إن تعليماً هذا منهجه، لهو تعليم متخلف تماماً، ينتمي إلى قرون خلت، وبالتالي فهو لا ينتج، ولا يستطيع أن ينتج، العقول القادرة على مواجهة تحديات الحاضر، ومتطلبات المستقبل». ورغم قسوة هذه الكلمات، إلا أن قسوة واقعنا العربي أكثر مرارة وألماً، فهذه الكلمات مر عليها أكثر من 22 عاماً، إلا أنك تشاهد الوضع كما هو دون أي تغيير في كثير من بقاع الوطن العربي، بمعنى مرور أجيال عدة دون أي محاولة للتغيير أو التطوير، حتى ذلك التغيير أو التطوير الطبيعي الذي يتم مع دورة الزمن الاعتيادية لم يتم، ولم يتحمس أحد للقيام به، فمخرجات التعليم كما هي دون تبديل، والأقسام العلمية كمناهج وطريقة الدرس والتعليم، فضلاً عن قياس واختبار الطلاب هي أيضاً دون تطوير يواكب العصر، ويساعد هذه الأجيال على فهم سرعة التغييرات التي تعصف بالعالم، - توجد استثناءات - وكيفية التعامل معها، بل كيفية التأثير فيها، وأن نكون أمة فاعلة ومنتجة في العالم. غني عن القول إن الدول الأكثر تطوراً في الغرب قد تجاوزت مسألة البناء الإسمنتي للصروح الجامعية، وبات تركيزها منصبّاً على البناء المعرفي من تطوير المختبرات والمعامل، وباتت تسابق في هذا المضمار، فنسمع أن معامل جامعة كامبريدج تعد من الأوائل في العالم، وأن علماء مختبرات مراكز البحوث في الولايات المتحدة الأكثر فوزاً بجائزة نوبل.

الخلل في بعض الدول العربية يكمن في طريقة الاهتمام بالمعرفة، وتعليمها الذي لم يتطور، وفي ظني أنه نتيجة لهذه الطريقة الخاطئة، أصبحنا حضارة تستورد ولا تنتج، تعتمد على غيرها من الدول العظمى في كل الأمور الصغيرة والكبيرة، تتأثر ولا تؤثر؛ وبكل أسف أؤمن بأن هذا هو واقعنا العربي، ولكن الأمل بنهضة عربية علمية موجود، وذلك عندما نبدأ في وضع اليد على مكمن الجرح وعلاجه، لتصبح مراكزنا العلمية والثقافية مواقع للإنتاج والعمل، وليس التلقين والحفظ، لتأخذ على عاتقها توعية المجتمع، وتسهم في حراكه وتطوره وتخرجه من بوتقة التفكير السطحي البسيط، عندها سنشاهد جميعنا، شبابنا وفتياتنا، يسابقون في البناء الحضاري والمعرفي بكل جهد وحماسة، ويقدمون مخترعات ومبتكرات مذهلة وجديدة ومفيدة للبشرية بأسرها.

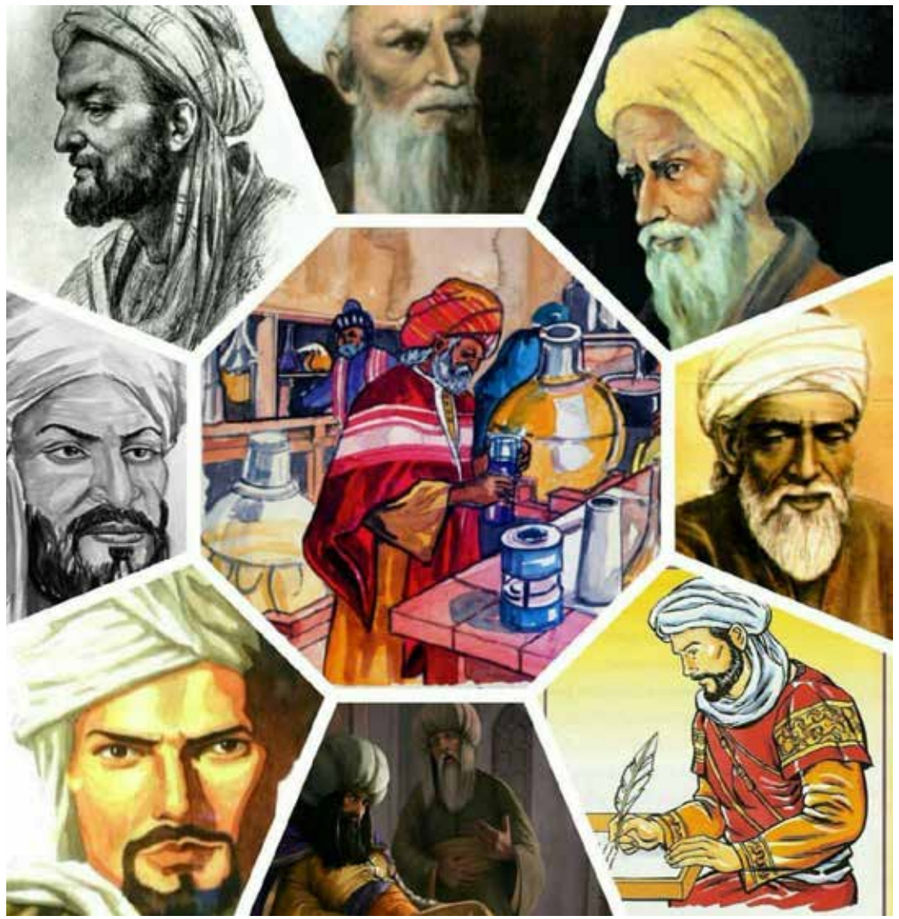

الأغنية في الموروث الشعبي
مصدر وحي ومنبع إلهام

صبحة بغورة
باحثة – الجزائر

تعدّ الأغنية في الثقافة الشعبية رافداً أساسياً من روافد الشخصية الوطنية، وعنصراً جامعاً لأبناء الوطن حول الأصالة وعامل تحفيز دائم لمشاعر الانتماء، وهي بذلك تشكل أحد الانشغالات الكبرى على مستوى الخطاب الرسمي والوطني، الباحث عن تعزيز دعائم الوحدة الوطنية.

يمكن أن نتلمس مكامن حفظ الأغنية الشعبية كتراث من قول الأديب الفرنسي المناضل فرانز فانون «إن المرأة هي القناة الأساسية لنقل الثقافة الشعبية، وجعلها أداة أساسية في التربية، باعتبارها حارسة التقاليد التي حملت بصمات الأجداد»، وإذ ترتبط الأغنية والشعر والأزياء الشعبية بواقع اجتماعي معين، ذي خصوصية مميزة في فترة تاريخية محددة، فهي بذلك تعبر عن تاريخ أمة، وتعكس حقيقة تراثها، وتجعله في متناول الجميع، وللأغنية حضورها المؤثر في إحياء أفراح الشعوب، وتجديد عزائم أبنائهم في العمل، وفي شد أزرهم في الخطوب، والغناء في صلب معناه يفترض وجود موسيقى مصاحبة ومناسبة لمعاني الكلمات، وقديماً قيل: «إذا أردت معرفة حضارة أمة، فانظر إلى موسيقاها»، والموسيقى والغناء وبقية الفنون الأخرى، والآداب والدساتير والأنظمة هي المقياس الحقيقي لوعي الأمم وتقدمها، أو المؤشر على تخبطها وانحلالها؛ لذلك ليس غريباً أن نؤكد حقيقة أن الأغنية بكل بساطة هي روح الشعب المتجددة مع مراحل تطور حياة الشعوب، ويؤكد هذا ذلك التنوع الذي جعلها مختلفة في كل مرحلة تاريخية عن المرحلة السابقة عليها داخل المجتمع الواحد. وانطلاقاً من القناعة بدور الموروث الشعبي كأداة وصل بين أنماط الفنون عبر تعاقب الأجيال، فقد

اتجه الاهتمام إلى حفظه وجعله المادة الخام الملهمة للمبدعين والفنانين والحرفيين، قابلة للتطوير لبعث مشاعر الاعتزاز بالخصوصية الحضارية للأمة، وبتراثها الشعبي الذي يمثل في حقيقته ضميرها الجماعي، وإرثها المشترك، بالضبط كما يعبر تنوعه عن دلائل عبقريّتها، فالإغناء المتواصل، والإثراء المستمر للتراث، قد أكسبه المناعة أمام كل التيارات الثقافية الغربية، ومنحه قدرة الصمود أمام محاولات استفزازه لطمس الهوية، وذلك من خلال مخاطبة الإحساس والوجدان والعقل للحفاظ على الأصل، وتمجيد العادات، وإحياء التقاليد، وقد حملت الكلمات هموم البسطاء، ونقلت مظاهر حياتهم، وعبرت بصدق عن آلامهم، وشاركتهم بحق أفرحهم، وكان للموسيقى فضل الانتشار السريع للأغنية وفي إلهاب الحماسة العسكرية لدى الشباب، وتأكيد معاني التضامن الوطني.

الفنان ابن بيئته، يتفاعل مع طبيعتها، يقف مشدوها أمام سحرها، وينقل تأثره بمظاهرها في نسق فني خاص يبدعه هو، وقديماً قال الإمام الغزالي: «من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو

فاسـد المـزاج، ليـس له عـلاج»، وهـذا النـوع الفني عـاش مـع الإنسـان حياتـه كلهـا منـذ ترنيمـة المهد إلـى مرثية اللحـد، وبقيت الأغنية الشـعبية محتفظة بخصوصيتهـا التـي تميزها عـن بقية ألوان الشـعر، حيـث لـم تعتـرف بالفرديـة؛ لأنهـا جماعيـة الأداء بطبيعتهـا؛ لأنهـا تعبـر عـن مشـاعر العامـة، لا عن مشـاعر مغنيها، وهي نتيجة جهـد جماعي، وصالحة لأكثـر مـن زمـان ومـكان، ممـا منحهـا الديمومـة، وتـؤدي الأغنيـة الشـعبية وظيفـة اجتماعيـة؛ لكونها تعبر بشـكل مباشـر عن ممارسـات الحياتية اليومية وهمومها؛ ولذلك وجد فيها علماء الاجتماع، ودارسـو الأنثربولوجيـا الثقافيـة خيـر معـين للتعـرف إلـى طبيعـة المجتمعـات، من خلال دراسـة مختلف الطبوع الموسـيقية السـائدة التي ارتبطت كثيـراً بالمكان الذي انطلقـت منـه، وكذلـك الأزيـاء التي اشـتهرت بها كل منطقة .

للأغنيـة في التراث الشـعبي بالجزائـر مكانة مرموقة في السـاحة الفنيـة، اكتسـبتها سـواء مـن حضورهـا الدائـم والسـريع في تمجيـد كل المناسـبات الوطنيـة وتخليدهـا، أو مـن دورهـا المؤثـر في توجيـه مختلف الأحـداث علـى مـر الزمـان، ولعـل فتـرة الثـورة التحريرية المسـلحة ضد الاسـتعمار الفرنسـي، كانت مـن أبـرز الفتـرات التـي نقلـت الأغنيـة الشـعبية قسـاوتها للـرأي العـام الداخلـي والخارجي، ويشـير التوزيـع الجغرافي للأغنية الشـعبية إلـى توزعها عبر أرجـاء البـلاد، وليـس تمركزهـا في منطقـة واحـدة بعينهـا، وأن كل منطقـة قد احتفظت بطبع موسـيقي خـاص بها، وهذه الظاهـرة نجد تفصيلهـا فيما يلي:

منطقـة «تلمسـان» في غـرب البـلاد، ويرجـع أصـل تسـميتها إلـى الكلمـة الأمازيغية «ثالا إمسـان»، التي تعنـي في اللغة العربيـة «النبع الجـاف»، أو «عين الماء الجافة»، والأمازيغ هم أول من أطلق تسـمية تلمسـان علـى المدينة التي كانت تسـمى قديماً «أغادير»، والتي تعنـي «القلعـة» التـي تقـع عند سـفح جبـل «تيرني» القريـب من الحـدود مع المملكة المغربيـة، ومن هضبة «لالة سـتي»، نسـبة إلى سـيدة جليلة مـن أهل البيت الشـريف هربـت مـن هـول مـا لحـق بهـا وأقاربها، وأقامـت بـين القبائـل الأمازيغيـة الذيـن اعتنقـوا الإسـلام، ولا يمكـن لزائر مدينة تلمسـان إلا أن يزور مقام الولي الصالح سـيدي بومديـن الغوث المتصوف، والشـاعر الذي شـارك في معركة «حطين» الشـهيرة، بقيـادة صلاح الدين الأيوبـي، وقطعت فيها ذراعه وتم دفنهـا في القدس، ويمثل ضريحه حاليـاً مزاراً عالمياً، وقـد حـرص كل الملوك على ترميم هـذا الضريح، وما يزهـو بـه التلمسـانيون نهارهـم وأماسـيهم هي تلك الأنغـام الأندلسـية بطابعها «الحوزي» ومنشـأه مدينة غرناطـة، ويتعلق بمدائح الطـرق الصوفية، وهو طابع لا يتقيـد في الصياغـة والأوزان والقـوافي بالنصوص الأدبيـة، والأوزان الإيقاعيـة، والمقامـات الموسـيقية، وبالمـوروث الغنائي الـذي ورثته بلدان شـمال إفريقيا عـن الأندلـس، وطوّرتـه وهذّبتـه، وتتكـون مادتهـا النظميـة مـن الشـعر والموشـحات والأزجـال، مع ما أضيـف إليهـا من إضافـات لحنية أو نظميـة محلية، جمعـت بينها دائـرة النغم والإيقاع، وما اسـتعاروه من نصوص وألحان مشـرقية، وتعتبـر «النوبة» أهم قالب في الموسـيقى الأندلسـية، وتختلف أسـماء هـذا الفن مـن منطقة لأخـرى، من «الحـوزي» بتلمسـان الغرب الجزائـري، و«المالوف» بمدينة قسـنطينة، و«الصنعة» بالعاصمـة الجزائرية، وكلها ترجع إلـى أصول واحدة هي الموسـيقى الأندلسـية، ومع أن هذه الأنغام معقدة

بألحانها ونوباتها، إلا أن المطربين عشـقوها واقتبسوا نصوصاً من أشـعار أعلامهم من المتصوفة والشـعراء والحكمـاء، مثـل ابـن سـهلة وابن مسـياب، وسـيدي بومديـن الغـوث الذي كان من أشـعاره:

يـا مـن عـلا فـرأى مـا في الغيـوب

وما تحت الثرى وظلام الليل منسدل

أنت الغياث لمن ضـاقـت مذاهبـه

أنت الـدليـل لمن حارت بـه الحيـل

إنـا قصـدنـاك والآمـال واثقـة

والكـل يـدعـوك مـلهـوف ومبتهـل

ويعتمـد الفـن الأندلسـي علـى الآلات الموسـيقية القديمة، كالقانـون والكمان والعود والربابة، ويعود بنا الطرب في عالم الموسـيقى الأندلسـية إلى زهاء سبعة قـرون مضـت، ازدهر على يـد عمالقة كانـوا امتداداً للموصلـي وزرياب، ويعتـرف بالفضل إلـى العربي بن صـاري، الـذي قام بجمـع أكثر مـن 3000 نوبة كانت ضائعـة ومهملـة، وأعاد بعث الروح فيهـا، ثم تواصلت الأجيـال في تأديـة أنواعها خاصة موسـيقى الحوزي، حيـث يتميـز فنانو الأندلسـي بلهجتهـم العربية بلكنة أندلسـية وبملابسـهم التي تعود إلى القرون الوسطى كالشدة التلمسـانية، ولبس الدمالج والأساور المرصعة بالجوهـر والأحجـار الكريمة، ويحافـظ الرجال على ارتـداء الجلابيـب البيضاء ذات القلنسـوة، والبرنوس الـذي يعدّ اللبـاس الأصلي للرجـل الأمازيغي.

وإلى شـرق البـلاد ننتقل إلـى مدينة الجسـور المعلقة (قسـنطينة)، التي بنيت على كتلـة صخرية من الكلس الصلـب، ويشـقها واد سـحيق، عرفـت قديمـاً باسـم «سـيرتا»، واشـتهرت بمعالمهـا التاريخيـة مثل الجامع الكبيـر، يعود بناؤه إلـى القرن الثالث عشـر الميلادي،

وضريح سيدي راشد، أما قصر الباي أحمد فيعد نموذجاً لفن العمارة العربية الإسلامية، وحمام سيدي مير للمياه المعدنية الساخنة، إلى جانب جسورها السبعة المعلقة على ارتفاع 200 متر، وقد شيدت في مراحل تاريخية مختلفة، والمدينة مركز من مراكز موسيقى المالوف الأندلسية، وهو طبع من نشأة مدينة «إشبيليا»، والمالوف كلمة تطلق على نوع من أنواع الموسيقى الأندلسية، هي وريثة الموسيقى التي كانت تمارس في شمال إفريقيا والمغرب العربي، والتقليد الموسيقي العربي المنقول من بغداد في القرن التاسع، ويمارس هذا الطبع في مدن قرطبة وغرناطة وإشبيليا، إنه تقاطع الثقافات وتنوع الحضارات، وهذا بفضل أبي الحسن علي بن نافع، المعروف باسم زرياب، والمالوف يقصد به ما ألف الناس سماعه من موشحات وزجل ومديح ديني، يتبع قواعد وأوزاناً لها مدارسها، والموشحات الأندلسية هي فن من فنون الشعر، نشأ وترعرع في بلاد الفردوس المفقود «جنة الأندلس»، وقد تضاربت الآراء حول أصل الموشحات إلى رأيين: فريق يرى أنها صدى لضرب من الشعر الإسباني عرفه سكان الجزيرة الإيبيرية قبل دخول العرب إلى الأندلس، وفريق آخر يرى أن الموشحات ليست إلا تطوراً طبيعياً للشعر العربي، والموشح هو اللفظ السيرياني «موشحتا» بمعنى إيقاع، ومنها موشحات ابن زهر الإشبيلي:

أيها الساقي إليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا
وسقاني أربعاً في أربع
غصن بان مال من حيث استوى
بات من يهواه من فرط النوى
خافق الأحشاء موهون القوى

تقام طقوس وحفلات المالوف بشكل جماعي ومختلط، يرتدي فيها الحاضرون أزياء تقليدية، تظهر موروثاً ثقافياً ثرياً، تزخر به المنطقة منذ عقود عدة، ومنها القندورة المطرزة بالخيوط الذهبية والفضية، تسمى الفتلة والمجبود، وهي من التقاليد الأصيلة لدى الأوساط الفنية والاجتماعية التي لا تتغير بتغير الزمان، أما الآلات التي كانت تستعملها الفرق في عزف النوبات التقليدية «الغايطة»، وهي آلة نفخية و«الدربوكة» أي الطبلة، والطار وهو الدف بصنوج نحاسية وآلة «النقرة»، وهي طبلة صغيرة ينقر عليها بخشبتين، والعود والكمنجة والقانون.

وتعد مدينة وهران بغرب البلاد من أكبر المدن الساحلية في غرب الجزائر، تقع في خليج صغير، وهي محطة تاريخية مهمة لفترة ما قبل التاريخ، وكانت تعرف باسم «إفري»؛ أي المغارات الموجودة في أعاليها الجبلية، وتسمى أيضاً «الباهية»، وسميت وهران بهذا الاسم نسبة إلى أسود الأطلس التي كانت موجودة بالمنطقة؛ لذا شيد السكان تمثالين لأسدين منتصبين عند مدخل المدينة التي تطل على البحر المتوسط قبالة إسبانيا، وجمعت مدينة وهران بين الأصالة والحداثة، ومن أبرز معالمها قصر الباي محمد الكبير، وهو من الشواهد الثرية التي حفرت في ذاكرة الجزائريين، وفي أعالي جبل «المرجاجو» بنى الإسبان قلعة سانتا كروز في القرن السادس عشر، وفي أسفلها كنيسة تطل على البحر، تحتضن تمثال السيدة العذراء.

تعرف مدينة وهران بالطابع الغنائي «الراي»، وهو يعود إلى شيوخ الأغنية البدوية، ومصدره فولكلور عربي مصاحب لرقصة «العلاوي»، وكانت منطقة سيدي بلعباس السباقة لتطوير موسيقى وأغاني الراي باللهجة العامية القريبة من اللغة العربية البدوية، التي تتناول موضوعاتها المديح الديني والمشكلات الاجتماعية، ومحاولة التنبيه بالأمثال من خطورة الآفات، والتوعية الاجتماعية والعاطفية بالشعر الملحون، ومنها قصيدة شهيرة للشاعر لحبيب بن قنون بعنوان «ظالمة.. طال الصبر عليا»، جاء فيها:

الناس طبايع.. فيهم الوديع والطايع.. وفيهم وضيع وضايع
إذا دخلت للبئر طول بالك.. وإذا دخلت لسوق النسا رد بالك
اللي فاتك بالزين فوتو بالنظافة..
واللي فاتك بالفهامة فوتو بالظرافة
القمح أزرعو الريح يجيب غبارو..
والقلب إلا كان مهموم الوجه يعطيك خبارو..
وللي راح برضايتو ما يرجع غير برضايتي
ولا تلبس حاجة موش قدك.. ولا على حاجة فارغة تندب حظك
وما يحكلك غير ضفرك.. وما يبكيلك غير شفرك.

ومن الآلات التي يعتمد عليها في أغاني «الراي» القصبة؛ أي الناي، القلال؛ أي الطبل الذي تؤدى على وقع دقاته رقصة لعلاوي.

موزة سيف المطوع
كاتبة – الإمارات

رجفة تعتري الجسد وتضعف المناعة، التزود بملاعق فردية من دبس التمر كفيلة بأن تملأ الجسد دفئاً وقوة، بعد أن حل موسم الصفري (الخريف)، مودعين فيه حرارة الصيف الشديدة، مستقبلين فيه التقلبات الجوية والأمراض المصاحبة لها.

من منا لايحب العصيدة الإماراتية ؟! ومن ذا الذي لا يستمتع بتناول المدَبَّس في فصل الشتاء، والبثيث تلك الوجبة التي لا تقل عن سابقاتها فائدةً وصحةً، والأرز المحمَّر بالدبس؟! وجباتٌ إماراتية وخليجية لها طعمها المميز الخاص، فهل علمت أنه قبل أن يتم اعتماد صنعها من السكَّر كانت تحضر من دبس التمر، كيف لا والسكر كان قليلاً، ويتم استيراده، على نقيض دبس التمر الذي يتم تحضيره بأيادي المزارعين، صناعة محلية بامتياز، متوافر في أغلب شهور السنة، لايزال محبوباً لدى أهل الإمارات والخليج مع التطور، هو أحد الكنوز الطبيعية، والذي يتسابق المزارعون لإنتاجه وتصديره ليتعدى الحدود فأصبح معروفاً للقاصي والداني.

دأَب المزارعون على إنتاجه منذ قرون طويلة، دلّت عليه غرف مدابس التمر التي تم اكتشافها، وأعيد ترميمها، اهتم المزارع بنخيله من زراعة وسقاية وتسميد، ليحل القيظ (شدة الصيف) وتثمر النخيل ما لذ وطاب من الرطب، ولأن إنتاج النخيل كان أكثر من المحتاج، استهلك الناس حاجتهم من الرطب، وعمل المزارعون على توزيع الفائض منه مثل جش حبش واللولو والخنيزي على المِسْطاح ليجف تحت أشعة الشمس ليومين متتاليين بعد أن يغسلَ جيداً، ومن ثم ينقى من ما يشوبه من تمر فاسد وأوساخ، تملأ اليراب المصنوعة من الخوص بالتمر ويحكم إغلاقها، وتصف فوق بعضها بعضاً في غرفة دون نوافذ، كي تمنع تسلل الغبار والتراب إليها، ومن عاليها توضعُ حجارة لتضغط عليها، يغلق الباب لتبدأ حرارة الجو وثُقل الحجارة بالعمل خلال شهرين وثلاثة على إنتاج ألذ عصارة كثيفة سوداء تقطر لذاذة وحلاوة قد تتذوقها يوماً، بدأ يسيل من خرم اليراب ليجري بقنوات وممرات قد أنشؤوها مسبقاً من الجص؛ ليصل إلى نهاية القناة، وينصب في حفرة في الأسفل وضع فيها خَرْس (جرة من الفخار) ليحفظ فيها، وبين حين وآخر يغرف منه أو يوضع في محابر تسمى (الكوز) يتزودوا به طيلة فصل الصفري والشتاء والربيع، حتى يحل القيظ مجدداً مستبشراً ببشارة الرطب.

العمل على استخراج دبس التمر عمل جماعي بامتياز، فأهل المنطقة يساعدون المزارع في كل مراحل إنتاج دبس التمر، لما يتطلبه من مجهود ووقت، فيسهم في توطيد علاقات الأفراد، وترسيخ المحبة والتعاون بين بعضهم بعضاً، فتجد المزارع يتقاسم الإنتاج مع كل من ساعده، ويوزع على الأهل والأصحاب والجيران، لم يكن للبيع، بل كان للكل، فحلت البركة عليهم.

في وقتنا الحاضر لايزال دبس التمر يعتبر ذخيرة غذائية لا يستغنى عنها في دول الخليج العربي خاصة، وفي الدول العربية، ويحتوي على مجموعة متنوعة من العناصر الغذائية والمعادن التي أثبتتها الدراسات الحديثة، ولايزال يعدّ سيد الموائد، فما ألذ الخبز حين يغمس به! ولا تحلو اللقيمات إلا معه، وأصبح يتبل به للمشاوي، وغدا حشوة للفطائر، ويشرب مع الحليب لفقر الدم، ويوصف لمن يعانون النحافة ليكتسبوا الوزن، وتناوله يرفع المناعة، ويقوّي العظام والشعر.

مَاشَا والدُّبّ

شهرزاد العربي

عند سفح الجبل بالقرب من قرية روسيّة، كان يعيش رجل عجوز مع زوجته وحفيدته ماشا، التي كانا يدلّلانها باسم (ماشنكا).

ذات يوم أراد أصدقاء ماشا الذهاب إلى الغابة لجمع الفطر والتوت البري، فطلبوا منها مرافقتهم، فطلبت الإذن من جدَّيْها، وانطلقت إلى الغابة تحمل سلة صغيرة، ووعدت جدَّتَها أنها ستحضر لها أحسن فطر، وكذلك التوت، ووعدتها جدتها بدورها بأن تصنع لها ألذَّ فطيرة، ومع هذا لم ينس الجدَّان أن يطلبا منها عدم التوغل في الغابة، خشية الضّياع.

خرج الأصدقاء مسرورين، يكتشفون الغابة، وأعينهم تبحث عن الفطر الذي استقر بعضه عند الشجر، واستقر بعضه الآخر على الجذوع، لكن هذا لم يمنعهم من الوصول إليه.

بدا الأطفال كأنهم يتنافسون في صمت على من يحضر أحسن فطر، لذا كلما قطفوا ثمرة من شجرة انتقلوا إلى البحث عن شجرة أخرى، وهذا ما فعلته ماشنكا أيضاً.

ومن شجرة بعد شجرة، ووادٍ بعد وادٍ، كانت ماشا تبتعد عن أصدقائها، وعندما امتلأت سلتها بالخيرات، أرادت العودة إلى أصدقائها، وخطت خطوات كثيرة، لكنها لم تجد أحداً.

لفَّت ماشا في المكان؛ لكي تحدد الطريق الذي يجب عليها أن تسلكه، لكنها كانت مشوشة، ولم تعرف ماذا تفعل، فأخذت تنادي أصدقاءها، لكن لم تجبها سوى أصوات الطيور التي أخافها نداء ماشا العالي، والسناجب التي فرَّت هنا وهناك.

لم يبق أمام ماشا سوى الاستمرار في المشي داخل الأدغال، لعلّها تجد أحداً يساعدها على العودة إلى البيت.

بعد مدة وجدت ماشا نفسها أمام كوخ وسط الغابة، فطرقت بابه، لكن لم يجبها أحد، فدفعت الباب، ودخلت، وجلست على مقعد هناك قرب النافذة، وظلت تفكر مَنْ يا تُرى يسكن هذا الكوخ؟ ولماذا لا يوجد أحد هنا؟

فكرت ماشا في أمور كثيرة، قبل أن يدهم عينيْها النّعاسُ، لتنام على المقعد.

مسكينة ماشا لم تكن تعرف أنها دخلت بيت دبّ كبير، كان وقتها يتجول في الغابة، يبحث عن طعامه، وها هو عائد إلى بيته.

فوجئ الدب بالفتاة الصغيرة، لكنه فرح بها أيضاً، وقال لها:

– لن أدعك ترحلين.. ستبقين هنا تُنظفين البيت، وتعدين لي الأكل، وفطائر العسل، وتطبخين لي الحساء اللذيذ، وتحرصين على تزويد الفرن بالحطب.

خافت ماشا من الدب، وبكت كثيراً، لكن دموعها لم تحرك مشاعر الرحمة والرأفة في قلب ذلك الدب الضخم، وكان لابد من تنفيذ طلباته.

كان الدب يغادر الكوخ في الصباح الباكر، ويطلب منها البقاء داخله طوال اليوم، وإذا فكرت في الهرب، فلابد أنه سيجدها ويأكلها.

خافت ماشنكا من الدُّب، وامتثلت لأوامره كلها، لكن

هذا لم يمنعها من التفكير في وسيلة ذكيّة تعود بها إلى قريتها وجدَّيْها وأصدقائها.

وبعد التفكير مليّاً، طلبت ماشنكا من الدُّب أن يسمح لها بالذهاب لمدة يوم واحد إلى القرية، لتأخذ بعض الحلوى لجدّيْها، لكن هل كانت ماشنكا ساذجة إلى هذا الحد لتطلب من الدب مثل هذا الطلب؟

لا، بل كانت ذكية، وعرفت أن الدب سيرفض ذهابها إلى القرية، وهذا ما كان منه، فقد قال لها:

– أنا مستعد لأخذ الحلوى إلى جدَّيْك في القرية بدلاً منك.

شعرت ماشنكا بالسعادة لهذه الفكرة، التّي خططت لها بحكمة ورويّة.

أعدت ماشنكا الحلوى، وجهَّزت سلة كبيرة، وقالت للدب:

– ستأخذ الحلوى إلى جدي وجدتي، لكن احذر أن تفتح غطاء السلة، أو أن تأكل من الحلوى.. يجب أن تعلم أنني سأصعد إلى أعلى شجرة بلوط، وسأراقبك وأنت ذاهب إلى القرية، فلا تحاول خداعي.

وعد الدب ماشا (أو ماشنكا) بألّا يفعل شيئاً مما تخشاه، وهنا حان وقت تنفيذ الجزء الأخير من الخُطَّة، فقالت ماشا للدب:

– اذهب إلى الخارج، وتأكد أن السماء لا تمطر، ثم عُدْ لتأخذ السلة، أما أنا فسأصعد إلى أعلى شجرة البلوط.

عندما خرج الدب، دخلت ماشا في السلة، ثم أضافت عليها الحلوى، وغطَّت السلة بسرعة.

عاد الدب، وحمل السلة على ظهره، ومضى نحو القرية.

مشى الدب أميالاً عدة، وقطع وديانًا، وعندما تعب جلس على ربوة، وفكّر في أكل قطعة حلوى قبل مواصلة طريقه، وبدأ يغني:

– سأجلس على ربوة، وألتهم الحلوى.

وما كادت يده تمتد نحو الغطاء، حتى سمع صوت ماشنكا يقول له:

– إني أرى كل شيء، فلا تجلس على الربوة، ولا تأكل الحلوى،

وخذها إلى الجد والجدة.

هلع الدب عندما سمع صوت ماشا، وقال:

– ما أكبر عينيْها! وما أقوى بصرها! إنها تراني من فوق الشجرة.

ثم حمل السلة مرة أخرى، وانطلق نحو القرية، وبعد أن قطع مسافة طويلة شعر بالتعب، ورغب في الراحة، وفي تناول قطعة حلوى، فقال ثانية:

– سأجلس على ربوة، وآكل الحلوى.

وكالمرة السابقة ما كادت يده تصل إلى الغطاء، حتى سمع ماشنكا تقول:

– لا تجلس على الربوة، ولا تأكل الحلوى، وخُذْها إلى الجد والجدة.

فزع الدب من الصوت، وقال:

– كم هي ماكرة، معلقة على شجرة البلوط تراني ولا أراها.

وأخذ السلة، وانطلق من جديد نحو القرية، وعندما وصل إلى بيت جدَّيْها طرق الباب، فلم يرد عليه أحد، فأخذ يقول:

– افتحوا الباب، لقد أحضرت لكما حلوى من عند ماشنكا، لكن كلاب القرية شمَّت رائحة الدب، فأخذت تنبح بقوة، فخاف منها، وتخلَّص من السلة، وفرَّ هارباً، عائداً إلى بيته.

وهنا خرج الجَدَّان ليجدا السلة أمام الباب، ففتحاها، فوجدا ماشنكا، وسعد الجميع بهذا اللقاء، وكانت السعادة أكبر عندما علما حيلة ماشنكا وذكاءها، وكم كان الجميع فخوراً بها!

التراث الصيني

الأثاث الصيني التقليدي

فاتن (زهو لينغ)، لبنى (شين شينغ)، اعتدال (زو بينغ)

إن البيت بمعناه الحقيقي لم يكن مكاناً فارغاً مهجوراً أبداً. ولا تبدأ الحياة الحية والحارة فيه إلا بعد أن يؤثث ويمتلئ بحركات الأشخاص، فما متاع البيت للصينيين القدماء؟

لكل عصر أساليب الإنتاج الخاصة به، مما يتبعها أيضاً التكنولوجيا المقابلة، وآداب السلوك، وعادات الحياة، فإن الأثاث الرائع الآتي من العصور القديمة أصلح للحياة، وأكثر ارتباطاً عاطفياً بالشعب الصيني.

كما يقول المثل: «الحديث مع الصديق الحميم مرة واحدة على الحصيرة، أفضل من قراءة الكتب لعشر سنوات»، ولماذا قالوا: «الحديث على الحصيرة؟»، فلنتحدث عن الجلوس في العادات الصينية التقليدية.

كانت هناك قصة قصيرة حدثت خلال حكم سلالتي وي وجين الملكيتين، عن «قطع الصداقة بقطع الحصيرة»، حيث روي لنا أن الصديقين جوان نينغ وهوا شين انقطعت علاقتهما عن طريق قطع حصيرتهما، مما يشرح لنا من جانب آخر دور الحصيرة، واستخدامها في تلك الفترة أيضاً. وكانت

الحصيرة تشبه الحشية. يمكنك الجلوس على الحصيرة عند القراءة أو الدردشة. وهي مستخدمة بشكل شائع للغاية، حتى إننا نراها من المعدات التي لا يستغنى عنها في السفر أو في المنزل.

وبالإضافة إلى الحصيرة، فإن الفراش كان أداة الجلوس الرئيسة للناس في أسرة هان الملكية. مع ذلك فإنها أثاث خاص لاستقبال الضيوف فقط، حيث تم خزنها أو تعليقها على الحوائط عموماً، وكانت توضع في منتصف الغرفة عندما يأتي الضيوف فقط. ولها وظيفتان، الأولى هي حماية الجسم من

رطوبة الأرض وآثارها في الركبتين، والثانية هي تمثيل المكانة والفئات.

إن الكرسي ومنذ إدخاله من الغرب (عبر طريق الحرير القديم)، أصبح أداة معتادة في منازل الصينيين تدريجياً أثناء عملية تطورها مع مرور الزمن، وصار في النهاية رمزاً للثقافة الصينية التقليدية.

إن الكرسي هو أهم جزء في الأثاث الصيني التقليدي، فهو رمز للآداب والثقافة، ويمثّل الدرجات الاجتماعية في المناسبات المهمة، كما أن التصميم والتطبيق المميزين له يظهران ثقافة ومشاعر القدماء.

عندما أنشد الشعراء القصائد الكلاسيكية «طاولة المكياج»، غالباً ما نعتقد أنها «طاولة التزيين»، ولكن في الواقع هي رفّ مع مرآة، وتم إدخال طاولة التزيين الحقيقية إلى الصين من الغرب في أواخر عهد أسرة تشينغ الملكية، حيث شكّلت نمطاً صينياً فريداً في خلال عملية تطوّره اللاحق.

يحتضن الأثاث التقليدي الصيني القديم الذاكرة الفريدة للحضارة الصينية، ونتطلع إلى أن تحضر إلى الصين، وتجرب جمال هذا التراث الصيني بنفسك في يوم ما.

مهرجان الصيف الياباني

رية ناكاو
كاتبة وفنانة – اليابان

لكل منطقة في اليابان مهرجاناتها الخاصة على مدار العام، وللمهرجانات في اليابان معاني وأشكال عديدة، من حيث الطقوس والعادات والغرض منها، حيث يرتبط معظمها بالمعابد والأضرحة البوذية، باعتبارها أعياداً دينية، أما بعضها الآخر فقد نشأ لغايات أخرى، مثل الحماية من الكوارث الطبيعية، أو من سوء الحظ، والاحتفالات الموسمية والامتنان تجاه الطبيعة، والصلاة والتقدير للحصاد الوفير، ومواساة روح الموتى... إلخ. استمر بعض هذه المهرجانات على مدى ألف عام.

في الغالب يكون حجم المهرجانات الرئيسة كبيراً جداً، لكن بعضها يكون صغيراً، ويحتفل به على مستوى محلي محدود كقرية أو مدينة صغيرة، لغرض التواصل بين المواطنين المحليين، من خلال الطبيعة والثقافة والتاريخ والتقاليد، ولهذا تناقل هذا النوع من المهرجانات أو الأعياد بوساطة المجتمع المحلي الذي حافظ عليها جميعاً على مدى قرون.

خلال مهرجان الصيف تنشط العديد من الأكشاك التي تبيع الحلويات الشعبية والأطعمة المحلية، وكذلك الحرف اليدوية التراثية، والمستلزمات اليومية مثل أدوات المطبخ، وديكورات المنزل والمزيد. وهناك أيضاً العديد من الألعاب الشعبية للأطفال، التي تباع بكثرة خلال تلك الاحتفالات، مثل مغرفة السمكة الذهبية، وصيد البالون المائي، ولعبة رمي الحلقات، وسويكاواري، وهي لعبة تقسيم البطيخ بعصا بعينين معصوبتين.

تعد لعبة غرف أو التقاط السمكة الذهبية من أكثر الألعاب شيوعاً، وتحتاج إلى مغرفة مصنوعة من قطعة رقيقة من الورق الياباني؛ لذلك عليك أن تكون حريصاً على عدم تمزيق الورق أثناء اصطياد السمكة الذهبية.

تدق الطبول، ويؤدي الناس الرقصات الشعبية ابتهاجاً بهذه المناسبة، وقد يشارك كل الناس أحياناً في الرقص، ويصنعون دائرة للمشاركة في رقص البون، وأخيراً تختم جميع الاحتفالات بالألعاب النارية.

يرتدي الناس «يوكاتا»، ويحملون مروحة أوشيوا الورقية المستديرة في المهرجانات. «يوكاتا» و«كيمونو» هما لباس ياباني شعبي، لا يرتديه الناس في الوقت الحاضر في حياتهم اليومية، كما كان من قبل، لذلك يستمتع الناس من مختلف الأعمار بارتداء الملابس الشعبية في المهرجانات.

«يوكاتا» هو لباس خفيف بسيط، وغير رسمي لفصل الصيف، وهو مصنوع من القطن، على عكس الكيمونو الذي يعرف بثقل خامته وأناقته، يصنع من الحرير، ويعد الزي الرسمي الذي يتم ارتداؤه فقط في المناسبات الخاصة مثل الزفاف.

فيما يلي أشهر المهرجانات الصيفية اليابانية.

مهرجان أوساكا تنجين (أوساكا)

مهرجان «تنجين» هو مهرجان ياباني تمثيلي، يعود تاريخه إلى أكثر من 1000 عام، وقد بدأ في عام 951 بعد الميلاد في ضريح «تينمان» بعد عامين من بناء الضريح.

الضريح مخصص لـ«ميشيزان سوجاوارا»، الذي كان عالماً وسياسياً في القرن التاسع، وتم تأليهه كإله للدراسة، ويتكون المهرجان من جزأين: استعراض بري، واستعراض بحري.

يرتدي المشاركون الزي التاريخي، ثم يبدأ المهرجان بحفل دعوة الإله للخروج من الضريح، ليحمل من

ضريحه إلى ضريح محمول، ويقوم الناس بأداء الاستعراضات التقليدية، والتجول به عبر المدينة، مع الدعاء لمزيد من الازدهار لمدينة أوساكا. بعد انتهاء العرض البري نهاراً، يبدأ العرض البحري مساء.

يقال إن هذا هو أصل العرض البحري، إذ يتم قذف «كاميهوكو» (مطرد طويل) في النهر، ثم تقام الطقوس الدينية في المكان الذي يصل إليه «كاميهوكو» ويتلقاه الناس بالقوارب.

يهدف هذا الطقس إلى التنقية والتطهير، ويتم فيه الدعاء من أجل سلامة المواطنين وصحتهم وسلامة المدينة.

وفي الختام ينزل نحو 100 قارب إلى النهر للمشاركة في عرض ضخم ومذهل للألعاب النارية فوق النهر.

مهرجان كيوتو جيون (كيوتو)

تاريخياً، كيوتو هي العاصمة القديمة التي تضم العديد من الأضرحة والمعابد، فهي مركز ثقافة عصر الأسر منذ القرن الثامن الميلادي، ومازال العديد من المهرجانات مستمراً في كيوتو حتى الآن.

يعد مهرجان كيوتو جيون أحد أكبر المهرجانات في اليابان، وهو بشكل أساسي طقس تطهير ضريح ياساكا. للمهرجان تاريخ طويل بدأ في عام 869، وكان الاحتفال به في عام 2019، هو الذكرى السنوية له رقم 1150.

نشأ المهرجان في فترة شهدت العديد من الأوبئة والكوارث الطبيعية التي أودت بوفاة كثير من الناس، مثل الانفجار البركاني الكبير لجبل فوجي أعلى جبل ياباني عام 864، وزلزال شديد وتسونامي عام 869، والطاعون.

كان الناس سابقاً يصنعون ضريحاً وطرداً محمولاً، من أجل تهدئة الروح الغاضبة للضحايا الذين ماتوا بسبب الكوارث الطبيعية والأمراض والمعارك السياسية، وتكون الغاية من هذا الطقس هي التطهير؛ للوقاية من الأمراض المعدية والطاعون بالصلاة من أجل الصحة والعافية.

مع مرور السنين، بدأ التجار الأثرياء والمواطنون في كل مدينة في صنع «يامابوكو» (المهرجان العائم) على شكل طرد مزخرف، ويبدؤون الاستعراض في المدينة، ثم أصبح حجم المهرجان أكبر عاماً بعد عام.

يمتد الاحتفال بمهرجان جيون طوال شهر يوليو، وفيه تقام العديد من الاحتفالات خلال المهرجان، ولكن أبرز ما في المهرجان هو موكب الضريح المحمول ويامابوكو في يومي 17 و24 يوليو، والجدير بالذكر أن موكب يامابوكو مسجل في التراث الثقافي غير المادي لليونسكو.

مهرجان كاندا (طوكيو)

مهرجان كاندا هو مهرجان ضريح كاندا الذي تم بناؤه عام 730 في طوكيو، وهو أحد أقدم المزارات للأضرحة في طوكيو، وفي عام 1616 تم نقل الضريح إلى القصر الحالي.

توكوغاوا إياسو، مؤسس توكوغاوا شوغونات، حكم منطقة إيدو (طوكيو الحالية)، وصلى من أجل الانتصارات في ضريح كاندا قبل المعارك، وحقق انتصاراً كبيراً في معركة سيكيجاهرا في عام 1600.

بدأ مهرجان كاندا كاحتفال بهذا النصر، وبعد الانتصارات اللاحقة، ساد السلام فترة إيدو،

وازدهـرت الثقافـة، ونمـا الاقتصاد، وتطـور على كل الصعـد، واسـتمرت الاحتفـالات بهـذه الانتصـارات طـوال فتـرة إيـدو المزدهـرة (1603-1868).

في البدايـة كان عرضـاً بحريـاً فقـط، ثـم تم تغييـره إلـى موكـب أرضـي مع عوامـات في عـام 1616، حين ذلـك كان يشـارك نحـو 36 عوامة في العـرض، ولكن في الأيـام الأخيرة يشـارك عـدد أكبر مـن الأضرحة المحمولـة علـى العوامات.

أهـم ما يميز هذا المهرجان هـو العرض الذي يضم أكثر من 500 شـخص يرتـدون الزي التاريخي، ويمشـون في مدينـة طوكيو الحديثة لمسـافة نحو 30 كـم طوال اليوم.

يتخلـل ذلك إقامة حفل للشـاي، ودق الطبل الشـعبي، وعـرض نوه (فن الرقص الشـعبي مع ارتـداء القناع).

ميكوشي

مهرجان أوموري نيبوتا

مهرجان نيبوتا هو أحد أشـهر المهرجانات في اليابان، حيـث يسـتقبل أكثـر مـن 3 ملايـين زائـر، ويقام في أومـوري، التـي تقـع في الجزء الشـمالي مـن اليابان،

ولا يرتبـط المهرجـان بالطقـوس الدينيـة، مثل معظم المهرجانـات اليابانيـة الأخـرى. أما بالنسـبة لشـكل «نيبوتـا» فهـو عبـارة عـن فانـوس ضخم على شـكل دميـة ثلاثيـة الأبعاد.

أصـل المهرجـان غيـر معـروف، ومـع ذلـك يقـال إنـه مسـتنبط مـن مهرجـان «تاناباتـا» الذي أنشـئ للصـلاة مـن أجل السـلامة والصحة الجيـدة، والذي تم تقديمـه مـن الصـين في القـرن الثامـن، ممزوجاً بالتقاليـد الثقافية الإقليمية معاً، حيث يتم اسـتخدام الفوانيـس في المهرجـان.

ويذكر أقدم سـجل في الوثيقة في القرن الثامن عشـر أن الناس سـاروا ورقصـوا بالفوانيس خلال الاحتفال بالمهرجان.

عندمـا ازدهـرت ثقافة عامـة النـاس في بداية القرن التاسـع عشـر خـلال فترة إيـدو، تبنى ممثلو مسـرح الكابوكـي (فـن الأداء التقليـدي الياباني) مهرجـان «نيبوتـا» في أعمالهـم، وأصبـح حجمه أكبـر وأكبر.

خلال الحرب توقف المهرجان، لكنه شـارك في معرض

أوسـاكا عـام 1970، وبعـض المهرجانـات في اليابـان، ثم شـارك أيضـاً في مهرجانـات عالمية شـهيرة مثـل هاواي وفرنسـا وإيطاليا والبرازيل، وذلـك لأن مهرجان «نيبوتا» هو أحـد المهرجانات التمثيليـة اليابانية.

الشـخصيات في المهرجـان هـي شـخصيات تاريخيـة شـجاعة، أو مـن محاربـي سـاموراي المسـتلهمة مـن الحكايـات التاريخيـة والأسـاطير ومسـرح كابوكـي.

يتـم تصميـم الوجـوه بمهـارة التقويس والخط والرسـم، حيـث يسـتغرق تصميـم وبنـاء «نيبوتـا» سـنة كاملـة، الهيـكل مصنـوع من الخشـب والخيزران والأسـلاك، ثم يتم لصقها بالواشـي (الـورق الياباني)، وترسـم الأحرف بالواشـي. في يـوم المهرجـان، تتـم إضـاءة نيبوتـا، ويبدأ موكـب فانوس كبير جميل بالسـير في الليـل، حتى يظهر جماليتـه مـن خـلال الإضاءة. يصنـع حرفيـو نيبوتا ذوو المهـارات العاليـة أعمـالاً ممتـازة، وهـذا الفن الشـعبي الجميـل المتقـن قـد تناقـل عبر الزمـن من جيـل لآخر.

قديمـاً كان النـاس يحملـون نيبوتا على أكتافهـم، لكن في الوقـت الحاضـر أصبح حجـم نيبوتا أكبـر، لذلك أصبح يحمـل على عوامـات تُدفع للأمام. بلغ ارتفـاع أكبر نيبوتا 5 أمتـار، وعرضه 9 أمتـار، بعمق 7 أمتار، ووزن 4 أطنان.

يمشـي الناس في موكـب يحتوي على أكثر مـن 20 نيبوتا معـاً لمـدة سـاعتين يتجولـون عبـر المدينة. أعظـم ميزة لمهرجـان نيبوتـا هي أنـه ديناميكـي وحيوي للغايـة، فهو يمتلـئ بكثير مـن الحركة الأدائيـة الحية.

النـاس يقفـزون ويرقصـون حـول نيبوتـا، وهـذه أيضـاً واحـدة من الأشـياء البـارزة في المهرجان، يرتـدون أزياء ملونـة، وقبعـات مزينة بالورد، يشـارك أيضـاً العديد من عـازفي الطبول الشـعبية وعازفي الناي الشـعبي الياباني.

عيد خورفكان التراثي

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

تعدّ الشـارقة من أوائل إمـارات الدولة التي عكفت علـى ترميـم المعالـم التاريخيـة والمبانـي التراثية؛ تنفيذاً للتوجيهات السـامية لصاحب السـمو الشيخ الدكتور سـلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلـى حاكـم الشـارقة، حفظـه الله، الرامية إلى المحافظـة على المبانـي التاريخية والمواقـع التراثية وإحيائهـا، من خلال أعمـال الحماية والترميم التي طالت معالـم الإمـارة، وبيوتها التراثية، وأسـواقها الشـعبية، ومسـاجدها ومدارسـها، وإعادة توظيف وإحيـاء مناطق الشـارقة القديمة.

ويأتـي افتتاح المنطقة التراثيـة في خورفكان تتويجاً للجهـود الجبّـارة التي يبذلها صاحب السـمو حاكم الشـارقة، حفظـه الله، في سـبيل صـون التـراث الثقافي في الإمارة وحفظه، وحماية كنوزها ورموزها التراثيـة التـي تعدّ صمّـام الأمـان للمحافظة على التـراث، وحفـظ الهويـة الثقافية، في عصرٍ يتسـم بالعولمـة الجارفـة التـي اخترقت العالـم، وطرحت مهـددات طالـت صميم الهويـة والانتماء.

مشـاريع خورفـكان الثقافيـة والتراثيـة والتنموية، فتحـت الباب علـى مصراعيه للحديث عن سلسـلة مـن الإنجـازات الخالـدة لسـمو حاكـم الشـارقة، وهي ترجمـة حقيقية وعملية لوعـودٍ ما إن يطلقها سـموه حتـى تتماثـل للتحقّـق، وتتحـوّل إلـى واقع جميـل ومبهج.

هنـا الإنجـاز يحقّـق معادلة صعبـة في تاريخ الأمم والشـعوب، في ذاكـرة المـكان والإنسـان، في الـرؤى والأفـكار والاستشـراف، في المسـتقبل المشـرق الزاهـر الـذي يزهـو كل حين بهـذا الوالـد القائد الرائـد الخالـد، صاحـب السـمو حاكم الشـارقة، نسـأل الله أن يمتّعه بموفور الصحـة والعافية، وأن يبـارك في عمره وعلمـه، وهنيئاً خورفـكان بعيدك التراثـي، وعرسـك الثقـافي البهيج.

scenery of the mountains surrounding the city, which makes it of unique nature. Its people engaged in agriculture and sea professions. They are skilled farmers, and experts in fishing and sailing, in addition to shipbuilding of various types, sizes and shapes.

Khorfakkan was the eastern arm of the historical power of “Al Qasimi” family for centuries. It was the summer capital of many rulers of the Emirate of Sharjah. It was also the strategic repository of food and water, and a safe and fast outlet to go to the sea and sail to the ports of India, Sindh, China, Southeast Asia and East Africa.

The name of the city was mentioned in the maps of many geographers, and in writings of many Arab and foreign travelers, including Yaqut Al Hamwi, Ibn Battuta and Belgrave. They said that it is beautiful city with abundant palm trees, many valleys and water wells. They also described the social life of its people.

His Highness Sheikh Dr. Sultan Bin Mohammad Al Qasimi, Supreme Council Member and Ruler of Sharjah, pays special attention to the city of Khorfakkan for historical, social and strategic considerations. At the beginning, he developed the infrastructure of the city, including the traditional port, which has become an advanced international port for containers. He further established a public library, theater, centers for children, teenagers, and girls. Branches for all government departments and institutions have been opened in the city, making it a major and vital city. Moreover, His Highness directed the preservation and restoration of the heritage area that contains important historical market, houses and mosques.

Historically, the city of Khorfakkan had its share of resistance to the European colonialism that swept over many Arab and foreign countries. Among the most severe forms of colonialism was the Portuguese from which the people of Khorfakkan suffered the cruelty and violence of the Portuguese. Its people contributed positively and effectively to defeating that brutal colonialism.

There is no doubt that Khorfakkan is pearl of the East, so we dedicated this issue to her to pay tribute to it.

The issue also includes many news of the programmes, activities and events that the Sharjah Institute for Heritage organized or participated in during the last period. It further various articles focusing on various cultural heritage issues in the UAE, the Arab states and the world.

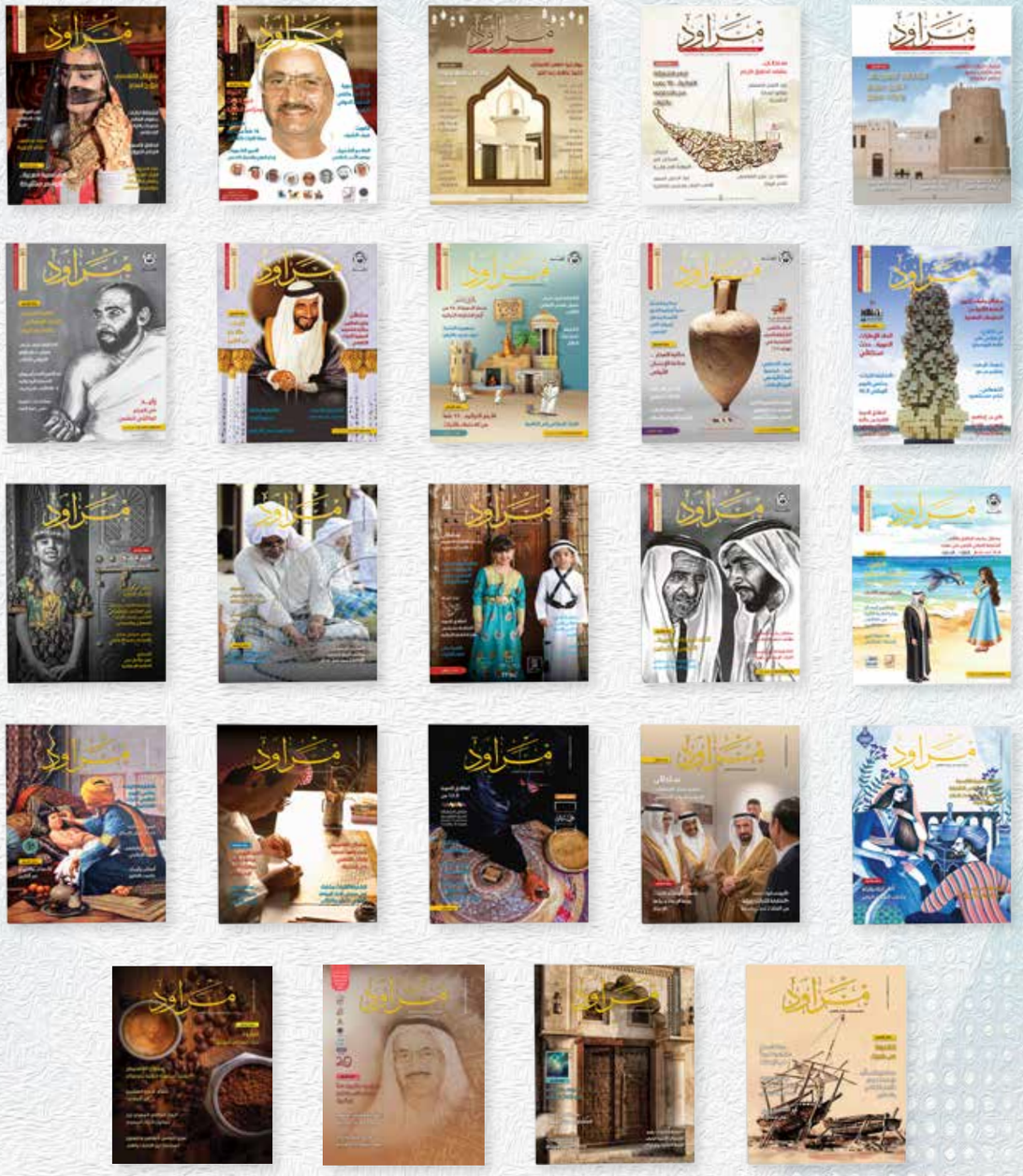

Khorfakkan...
Pearl of the East

If you want to see the beauty is a land, you should visit the city of Khorfakkan. The promising dreamy city that is full of vitality on the shores of the Gulf of Oman and the Arabian Sea.

One of the city's borders is a deep natural harbor, while the other three directions are embraced by an arc of a series of mountains.

It is renowned for its moderate weather, abundance of water, fertility of land, and abundant sea products. It has also ancient water wells and vibrant valleys, the most important of which is "Washi" valley. Until the 70s - many of the agricultural products such as grains, vegetables and fruits that pervaded the Emirates were brought from Khorfakkan, in addition to fish of all types.

Khorfakkan is a coastal city overlooking coasts of the Gulf of Oman and the Arabian Sea. It belongs to the Emirate of Sharjah in the UAE and is the ninth of the Emirati cities. Khorfakkan is one of the most beautiful coastal cities in the UAE with its beautiful sandy shore and the